جامعة محمد خيضر بسكرة
كلية الآداب واللغات
الآداب واللغة العربية

مذكرة ماستر

اللغة وأدب عربي
الفرع: دراسات نقدية
تخصص: نقد حديث ومعاصر

رقم: .....

إعداد الطالبة:
أحلام هدوش

يوم: 02/06/2025

الرمز والدلالة في ديوان "أغنيات نضالية" لمحمد الصالح باوية

لجنة المناقشة:

عبد الكريم روينة	محاضر ب	جامعة محمد خيضر بسكرة	مناقشا
جمال مباركي	أ. د	جامعة محمد خيضر بسكرة	مشرفا ومقررا
إلياس مستاري	أ. د	جامعة محمد خيضر بسكرة	رئيسا

السنة الجامعية : 2025/2024

بسم الله الرحمن الرحيم

الشكر والعرفان

الحمد لله اولا وأخيرا، والشكر له على نعم التوفيق وتسديد الخطى، فما نحن فيه من خيرو نجاح إلا بفضله ورحمته

أتوجه بجزيل الشكر وعظيم الامتنان إلى الاستاذ المشرف "جمال مباركي"، الذي كان سنداً وعوناً لي طيلة فترة إنجاز البحث، فلم يبخل علي بمعلومة ولا نصيحة وتوجيه، فله مني كل التقدير والاحترام.

ويطيب لي أن أعبر عن إمتناني و خالص شكري للأستاذ الفاضل "صالح مفقودة "، الذي أحاطني بدعمه ومساندته، فكان داعماً كريما لا ينسى.

ولا يفوتني أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى لجنة المناقشة الموقرة على تفضلها لقبول مناقشة هذه المذكرة، راجية الله أن أكون عند حسن ظنهم.

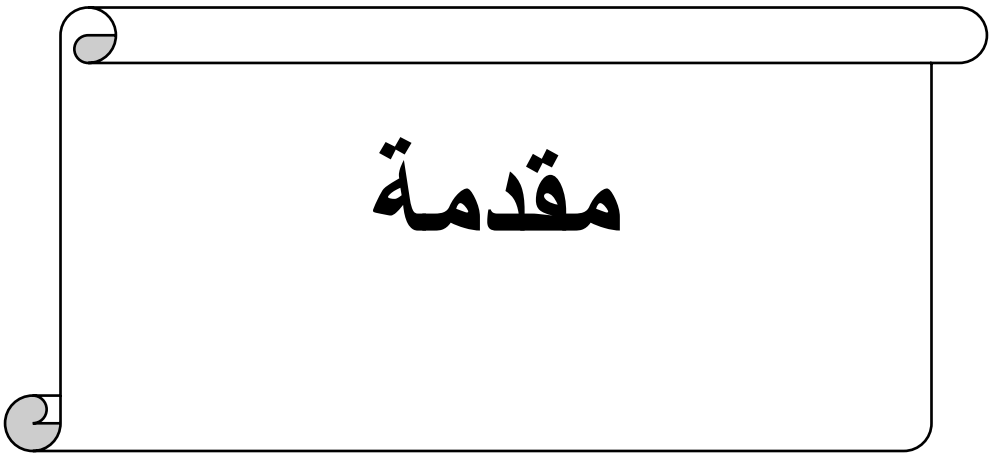
مقدمة

مقدمة:

يشكل الرمز إحدى الركائز الجوهرية للعمل الشعري، لما يحمله من أبعاد جمالية وفكرية تثري تجربة القارئ وتلفت انتباهه، ذلك لأن الرمز يمثل أداه راقية، تجعل من الشعر أكثر تأثيرا في المتلقي. لذلك لم يكتف الشاعر العربي بتقليد ما هو موجود في العالم الخارجي أو المرئي، بل سعى للغوص في أعماقه واستكشاف خفاياه، مما دفعه إلى ابتكار لغة شعرية جديدة، ترتكز على الإيحاء والتلميح عوضا على المباشرة والتصريح.

إن عجز اللغة المباشرة عن إيصال عمق التجربة الشعرية وظاهرة الزمن الشعري أدى إلى بروز الرمز في الشعر المعاصر، باعتباره أداة أساسية تسعف الشاعر في التعبير عن أفكاره وتجاربه، وقد لعب الرمز دورا مهما في تجاوز محدودية اللغة العادية، فكان وسيلة للإيحاء بدلاً من الكشف المباشر، مما أتاح للقصيدة آفاقا جديدة من الإبداع.

وتأتي أهمية الموضوع في كون "محمد الصالح باوية" من أبرز الشعراء الذين اشتهروا بتوظيفهم للرمز في ديوانه "أغنيات نضالية"، الذي طالما كان محل نقاش وجدل بين آراء الأدباء والنقاد، هذا ما جعل الوصول إلى الحقيقة أمرًا صعبا نوعا ما، ولقد بذلت جهدًا في تجميع وتحليل بعض الآراء المستندة إلى مصادر أدبية حول هذا الموضوع، وبفضل الله قد توصلت إلى نتائج قد تسهم ولو بشكل قليل في إزالة اللبس والإبهام عن كثير من الرموز والكشف عن دلالاتها.

كما أن شعرية هذا الديوان ومضامينه التي كانت تستهوي القارئ من بين أسباب اختيار هذا الموضوع، بالإضافة إلى اختصاصي الذي يستدعي البحث الدائم في هذا المجال الخاص وبالدواوين خاصة والأدب عامة، دون أن أنسى رغبتي الشخصية وميولي في الارتقاء ورفع مدخراتي الفكرية والسعي لإثرائها في هذا الميدان، هذه كانت أهم دوافعي لاختيار ظاهرة الرمز والدلالة في هذا الديوان.

ولمعالجة هذا الموضوع طرحت الإشكاليات التالية:

ما الرمز؟ وماهية الرمزية؟ ما أنواع الرموز التي استخدمها الشاعر "باوية" في الديوان؟ وما دلالات كل رمز؟

وللإجابة عن هذه الأسئلة قسمت بحثي إلى مقدمة وفصلين وخاتمة:

الفصل الأول كان نظريا بعنوان مفاهيم نظرية للرمز والرمزية، تضمن عنصرين:

العنصر الأول: موسوما بماهية الرمز، تطرقت فيه للحديث عن مفهوم الرمز في اللغة والاصطلاح، وأنواع الرمز وخصائص الرمز، أما العنصر الثاني: تحت عنوان ماهية الرمزية، تناولت فيه مفهوم الرمزية، ونشأة الرمزية ورواد الرمزية.

أما الفصل الثاني: فقد خصصته للجانب التطبيقي وجاء بعنوان: "تجليات الرمز في ديوان أغنيات نضالية"، تطرقت فيه إلى دلالات الرمز الفني في الديوان.

وخاتمة رصدت فيها النتائج المتوصل إليها بعد دراسة الموضوع.

ولتأطير دراستي ضمن منهجية دقيقة، اعتمدت على منهجين: المنهج التاريخي الذي مكنني من تتبع ماهية الرمز والرمزية، والمنهج السيميائي: الذي ساعدني على الكشف عن الأبعاد الدلالية للرموز في ديوان أغنيات نضالية.

واستنادا لما تفرضه طبيعة هذا البحث، اعتمدت على جملة من المراجع أهمها: "الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر لمحمد فتوح أحمد"، "الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية لعز الدين إسماعيل"، "معجم مصطلحات النقد العربي القديم لأحمد مطلوب"، و "استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر العربي لعلي عشري زايد".

أما بالنسبة للصعوبات والتحديات التي كانت عائقا أمام مشوار تدوين مذكرتي هذه، فأذكر:

ضيق الوقت ما جعلني تحت ضغط كبير لإنهائها في وقتها المحدد، وقلة الدراسات المتخصصة في دراسة شعر هذا الشاعر.

وفي الأخير أتقدم بخالص الشكر والتقدير إلى أستاذي المشرف "جمال مباركي" على ما قدمه لي من دعم وتوجيه طيلة فترة إشرافه، ولقد كان لتوجيهه ولملاحظاته القيمة الأكثر تأثيرا في إثراء عملي وتحقيق أفضل النتائج.

الفصل الأول: مفاهيم نظرية للرمز والرمزية

أولا: ماهية الرمز.

1. مفهوم الرمز في اللغة والاصطلاح.

أ. لغة.

ب. اصطلاحا.

2. أنواع الرمز.

3. خصائص الرمز.

ثانيا: ماهية الرمزية.

1. مفهوم الرمزية.

2. نشأة الرمزية.

3. رواد الرمزية.

تمهيد:

حاز الرمز مكانة بارزة ودورا كبيرا في تشكيل وبناء القصيدة الحديثة، حيث أصبح وسيلة للتعبير، يستخدم لإيصال معان وأفكار عميقة، مما يتيح للقارئ فرصة للتأمل واكتشاف المعنى بنفسه، فالشعراء استخدموا هذه التقنية للتعبير عن تجاربهم الشعرية العميقة الغامضة التي يصعب التعبير عنها بالكلمات المباشرة. وللرمز والرمزية تعاريف عديدة يمكن عرضها فيما يلي:

أولا: ماهية الرمز:

1. مفهوم الرمز في اللغة والاصطلاح:

أ. لغة:

ورد المفهوم اللغوي للرمز في المعاجم العربية القديمة بمعنى الاشارة والإيماء، ففي معجم لسان العرب لابن منظور في مادة (رمز): " الرَّمْزُ: تَصْوِيتٌ خَفِيّ بِاللِّسَانِ كَالهَمْسِ، وَيَكُونَ تَحْرِيكُ الشَّفَتَيْنِ بِكَلَامٍ غَيْرَ مَفْهُومٍ بِاللَّفْظِ مِنْ غَيْرِ إِبَانَة بِصَوْتٍ، إِنَّمَا هُوَ إِشَارَةً بِالشَّفَتَيْنِ، وَقِيلَ: الرَّمْزُ إِشَارَةً وَإِيمَاءٌ بِالعَيْنَيْنِ وَالحَاجِبَيْن وَالشَّفَتَيْنِ وَالفَمِ، وَالرَّمْزُ فِي اللُّغَةِ كُل مَا أَشَرْتُ إِلَيْه مِمَّا يُبَانُ بِلَفْظٍ، بِأَيِ شَيْء أَشَرْتُ إِلَيْهِ، بِيَدٍ أَوْ بِعَيْنٍ، وَرَمَزَ يَرمُزُ وَيَرْمِزُ رَمْزًا"[1].

وورد أيضا في معجم الوسيط: "رَمَزَ، رَمْزًا: أَوْماً وَأَشَارَ بِالشَّفَتَيْنِ أَوْ العَيْنَيْنِ أَوْ الحَاجِبَيْنِ أَوِ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ".[2]

وجاء في معجم "الصحاح" للجوهري: "الرمز: الإشارة والإيماء بالشفتين والحاجب وقد رَمَزَ يَرْمِزُ وَيَرْمِزُ وَارْتَمَزَ مِنَ الضَّرْبَة، أي: اضطرب منها، وتَرَمَّزَ مِثْلَهَ، وضربه فما ارْمَأَزَّ، أي: مَا تَحَرَّكَ، وكتيبة رَمَّازَةٌ، إذ كانت ترتمز من نواحيها لكثرتها، أي تتحرك وتضطرب."[3]

[1] : ابن منظور، لسان العرب، مادة (رمز)، دار المعارف، القاهرة، ط1. دت ص172.

[2] : مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ -2004م، ص372.

[3] : أبو نصر إسماعيل الجوهري، الصحاح تاج اللغة العربية، تح، محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة 2009، ص465.

اما في معجم ابن فارس (395هـ) يعرف الرمز في مقياس اللغة أن "(الراء والميم والزاء) أصل واحد يدل على حركة واضطراب يقال كتيبة رمازة تموج من نواحيها، ويقال ضربه فما ارمأز، أي ما تحرك وارتمز."[1]

كما ورد في القرآن الكريم في قصة سيدنا زكريا عليه السلام قوله تعالى: ﴿ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزا ۗ وَاذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالِابْكَارِ (41) ﴾[2]، وتأويل كلمة رمز في آخر هذه الآية الكريمة معنى أنه لا يستطيع التكلم مع الناس ثلاثة أيام إلا بالإشارة عن طريق إحدى الحواس.

ومن خلال التعاريف السابقة للرمز يتضح لنا أنه ارتبط معناه اللغوي بالإشارة والإيماء.

ب. اصطلاحا

يعد مصطلح الرمز واحدا من أهم المصطلحات التي تعددت مفاهيمه واختلفت آراء النقاد والأدباء حوله عند العرب ولدى الغربيين.

1. لدى الغرب:

أما المفهوم الاصطلاحي للرمز عند الأدباء والفلاسفة الغربيين، فيعرفه أرسطو الذي يعد من أقدم من تناولوا الرمز بقوله: "الكلمات رموز لمعاني، الأشياء الحسية أولا ثم التجريدية المتعلقة بمرتبة أعلى من مرتبة الحس."[3]

ويضيف أيضا: " أن الكلمات المنطوقة رموز لحالات النفس، والكلمات المكتوبة رموز للكلمات المنطوقة."[4]

أما كارل يونغ (Carl Jung) فيعرف الرمز بأنه "الوسيلة الميسرة للإنسان في التعبير عن الواقع الإنفعالي شديد التعقيد. والواقع أن العاطفة، وبخاصة الدينية تعجز العقل المنطقي

---

[1] : أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت ص439.

[2] : سورة آل عمران، الآية 41.

[3] : محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، مصر، ط3، 1984 ص35.

[4] : محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، أكتوبر 1998 ص39.

عن تناولتها في أعماقها، وأبعادها، وظلالها، فتتخذ الرموز والميثات وسيلة لولوج القلب البشري."[1]

وقد ربط "جوته" الرمز بالذات واعتبره: "امتزاج الذات بالموضوع والفنان بالطبيعة فإنه يكون منطقيا مع نزعته المثالية التي ترد العالم الخارجي إلى رموز للمشاعر ".[2]

ويتضح من هذا القول أن الرمز عبارة عن امتزاج وتداخل الذات بالموضوع.

ويقول آخر أن "للرمز تأويل مفتوح، فردي وهو عاجز عن التمثيل المحض لشيء معين، فصار بذلك هو العبارة الرومانسية بلا منازع، وسقط الدليل ومعه المثل لأنه توفيق بين دليل ورمز إلى مرتبة دنيا".[3]

وقد ذهب "فرويد" إلى تعريف الرمز بأنه "نتاج الخيال اللاشعوري وأنه أولى يشبه صور التراث والأساطير."[4]

2. لدى العرب:

حظي الرمز بمكانة كبيرة عند العرب، فكان "قدامة بن جعفر" أول من تكلم عن الرمز بالمعنى الاصطلاحي حيث قال هو:" ما أخفى من الكلام، وأصله الصوت الخفي الذي لا يكاد يفهم، وإنما يستعمل المتكلم الرمز في كلامه فيما يريد طيه عن كافة الناس والإفضاء به إلى بعضهم، فيجعل للكلمة أو الحرف اسما من أسماء الطير أو الوحش أو سائر الأجناس أو حرفا من حروف المعجم، ويطلع على ذلك الموضع من يريد إفهامه، فيكون ذلك قولا مفهوما بينهما مرموزا عن غيرهما".[5]

---

[1] : جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار الملايين، بيروت ،ط2 ،1984 ص124.

[2] : محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، المرجع السابق، ص37.

[3] : تزفيتان تودورف، نظريات في الرمز، ترجمة محمد الزكراوي، المنطقة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص09.

[4] : محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، المرجع السابق، ص36.

[5] : أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد النثر، تح، طه حسين وعبد الحميد العبادي، المكتبة العلمية، بيروت، 1980م، ص61، 62.

كما جاء مصطلح الرمز أيضا في معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، "لسعيد علوش" فقد عرفه بأنه: "مصطلح متعدد السمات غير مستقر، حيث يستحيل رسم كل مفارقا معناه".[1]

ويرى "أحمد مطلوب" الرمز على أنه: "علامة تعتبر ممثلة لشـــيء آخر ودالة عليه ففي معناها هو ما أخفى من الكلام إذ يستعمل المتكلم الرمز إذ أراد إخفاء أمر ما عن كافة الناس فيضع للكلمة التي يريد إخفاءها اسما من أسماء الحيوان أو الطيور أو سائر الأشياء".[2]

ويعرف "عز الدين إسماعيل" الرمز قائلا: "الرمز اللغوي نفسه زمن الاصطلاحي تشير فيه الكلمة إلى موضوع معين إشارة مباشرة، كما تشير كلمة "باب" إلى الشيء الذي اصطلحنا على الإشارة إليه بهذه الكلمة ولكن دون أن تكون هناك علاقة حيوية "علاقة تداخل وامتزاج التي تكون في الرمز الشعري وموضوعه " بين الرمز والمرموز اليه"[3]، ويتضح من خلال هذا التعريف أن "إسماعيل" ربط المفهوم اللغوي والاصطلاحي للرمز، حيث رأى أن الكلمة تشير مباشرة إلى موضوع معين دون أن تكون لها علاقة بين الرمز والمرموز اليه.

بالإضافة إلى ذلك نجد مصطلح الرمز ورد أيضا في العديد من المعاجم العربية الحديثة ومن بينها، معجم المصـــطلحات العربية في اللغة والأدب، "لمجدي وهبة"، فقد عرفه بأنه: "الكائن الحي أو الشيء المحسوس الذي جرى عرفه على اعتباره رمز معنى مجرد كالحمامة أو غصن الزيتون رمزا للسلام."[4]

هناك عدة مفاهيم توافقت مع المفاهيم السابقة للرمز على امتزاجه بالذات من أجل ربطها بالجانب النفســي الذي لا يمكن للغة أن تعبر عنه، حيث نجد ذلك عند "عنيمي هلال" الذي يرى أن الرمز "معناه الإيحاء أي التعبير غير المباشر عن النواحي النفسية المستترة التي لا

[1] : سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبريس الدار البيضاء، لبنان، المغرب، ط1، 1405هـ، 1985م، ص101.

[2] : أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان، بيروت ط1، 2011، ص24.

[3] : عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، ط3، ص198.

[4] : مجدي وهبة وكامل مهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ط2، 1984، ص181.

تقوى على أدائها اللغة في دلالتها الوضعية. الرمز هو الصلة بين الذات والأشياء بحيث تتولد المشاعر عن طريق الإثارة النفسية عن طريق التسمية والتصريح."[1]

2.أنواع الرموز:

لقد كان للرمز أشكال متنوعة نذكر منها:

1.2 الرمز الديني:

يستند الرمز الى القصص الدينية كوسيلة للتعبير عن المعاني السامية أو القضايا المعاصرة، ومن أهم الرموز الدينية التي استلهمها الشعراء في نصوصهم الشعرية، قصص الأنبياء أو شخصيات مثل: أيوب والمسيح عليهما السلام لتوضيح معنى الصبر والتضحية والنبي موسى ويوسف...، ويوظف الشعراء هذا النوع من الرموز المعالجة قضايا إنسانية، "فقد أحس الشعراء من قديم ثمة روابط وثيقة تربط بين تجربتهم وتجربة الأنبياء، فكل من النبي والشاعر الأصيل يحمل رسالة إلى أمته، والفارق بينهما أن رسالة النبي رسالة سماوية، وكل منهما يتحمل العنت والعذاب في سبيل رسالته, ويعيش غريبا في قومه محاربا... ولذلك فقد طاب للشعراء أن يشبهوا فترة المعاناة التي يعيشها الشاعر قبل ميلاد قصيدة من قصائده، بفترة الغيبوبة التي كانت تنتاب الرسول "ص" أثناء الوحي."[2]

2.2 الرمز التاريخي:

يعد الرمز التاريخي أداة يعتمد عليها الشاعر في عمله الشعري لاستلهام أحداث وشخصيات مرتبطة بالتاريخ، حيث يقول الناقد علي عشري زايد" الأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، فإن لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية، والقابلة للتجدد –على امتداد التاريخ– في صيغ وأشكال أخرى"[3]، و"الشاعر يختار من شخصيات التاريخ ما يوافق طبيعة الأفكار والقضايا

---

[1] : محمد الغنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط9 أكتوبر 2008م، ص315.

[2] : علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1418هـ، 1997م، ص77.

[3] : المرجع نفسه، ص120.

والهموم التي يريد أن ينقلها إلى المتلقي"[1]، ومن الشخصيات التاريخية التي تم استحضارها نجد: طارق بن زياد، صلاح الدين الزير... "ومهما تكن الرموز التي استخدمها الشاعر ضاربة بجذورها في التاريخ، ومرتبطة عبر هذا التاريخ بالتجارب الأساسية النمطية (أي بوصفها رموزا حية على الدوام) فإنها حين يستخدمها الشاعر المعاصر، لابد أن تكون مرتبطة بالحاضر، بالتجربة الحالية، وأن تكون قوتها التعبيرية نابعة منها."[2]

3.2 الرمز الصوفي:

هو جوهر الأدب والفكر الصوفي، حيث نجد الشعراء الصوفيين يستخدمون الرموز والإشارات للتعبير عن العواطف والمعاني الروحية العميقة.

" ويبدو أن الرمز الصوفي لا يعدو أن يكون نتاج موقف رمزي فكون الشيء رمزا أو ليس برمز يعول أساسا على موقف الشعور الذي يأخذ الشيء بعين الاعتبار، والموقف الذي يتصور الظاهرة المعطاة بوصفها ظاهرة رمزية، يوصف بأنه موقف رمزي"[3]، أي أن الرمز الصوفي لا يظهر كنتيجة تلقائية أو موقف رمزي معين بمعنى آخر ليس مجرد انعكاس مباشر كما يرمز اليه الشيء.

ومن الرموز الصوفية الأكثر حضورا في النصوص الشعرية: رمز الخمر، رمز المرأة ...

4.2 الرمز الأسطوري:

"ونعني به اتخاذ الأسطورة قالبا رمزيا يمكن فيه رد الشخصيات والأحداث والمواقف الوهمية إلى شخصيات وأحداث ومواقف عصرية، وبذلك تكون وظيفة الأسطورة تفسيرية استعمارية، أو إهمال شخصياتها وأحداثها والاكتفاء بدلالة الموقف الأساسي فيها بغية الإيحاء بموقف معاصر يماثله، وبذلك تكون الأسطورة رمزية بنائية تمتزج بجسم القصيدة، وتصبح إحدى لبناتها العضوية"[4].

---

[1] : علي عشري زايد، المرجع السابق، ص120.

[2] : عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، المرجع السابق، ص199.

[3]: أسماء الخوالدية، الرمز الصوفي بين الاغراب بداهة والإغراب قصدا، دار الأمان، الرياض، ط1، 2014، ص25.

[4]: محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، المرجع السابق، ص288.

حيث يلجأ الشـعراء لتوظيف هذا النوع من الرمز لأن الأسـطورة هي: "النوع الوحيد الذي يحقق فيه الحركة الكاملة بالنسبة إلى الكاتب المبدع وكثير ما يجد الكاتب فيها مجالا لعكس عواطفه وبث أحاسيسه وتوصيل آرائه"[1].

ومن أبرز الأساطير الأكثر استعمالا: العنقاء، أدونيس، السندباد، سيزيف...

5.2 الرمز الطبيعي:

هو إحدى الوسائل التي يستخدمها الشاعر للتعبير عن أفكاره بشكل غير مباشر، مستعينا بعناصـر الطبيعة لإحياء معان أعمق تتجاوز وصـفها المادي، فالشـاعر العربي يسـتلهم من الطبيعة بعض الرموز التي يوظفها في تشـكيلاته الشـعرية معتمدا على تقنيات التجسـيد والتشخيص، إذ يقصد بالتشخيص منح عناصر الطبيعة الحياة والحركة[2].

كما أن استخدام الرموز الطبيعية تمنح الشاعر القدرة على التعبير عن تجربته الشخصية ورؤيته للعالم من خلال الكلمات والرموز وهذه الرؤية تكون متأثرة بوعيه الشـخصـي، ومن عناصر الطبيعة التي قد توظف في النصوص الشعرية نذكر: النخل، البحر، المطر، النهر، الحجر...

6.2 الرمز الأدبي:

هو أسـلوب أدبي يسـتخدم للإشـارة إلى فكرة أو شـيء ما بطريقة غير مباشـرة، من خلال استخدام كلمات أو صور...، تحمل معان أعمق من ظاهرها ومعناها الحرفي، فعندما نرى أو نسمع هذا النوع من الرموز، فإننا نتوقف عنده لأنه يحمل دلالات تتجاوز المعنى المباشر.

وقد عرفه "محمد فتوح أحمد" بأنه "تركيب لفظي يستلزم مستوين: مستوى الصورة الحسية والتي تؤخذ قالب للرمز، ومستوى الحالات المعنوية التي ترمز اليها بهذه الصورة الحسية"[3]. بمعنى أن الرموز الأدبية تعتمد على المسـتوى اللفظي حيث تجمع بين المسـتوى الظاهري الحسي والمستوى الباطني المعنوي لنسج العمل الأدبي.

---

[1]: الديدي عبد الفتاح، الخيال الحركي في الأدب، الهيئة المصرية العامة للكاتب، 1990، ص69.

[2] : ينظر: محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، المرجع السابق، ص311.

[3]: محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، المرجع نفسه، ص202.

فالرمز يعتبر الإشارة إلى شيء غير موجود بشكل مباشر في النص، وذلك بهدف التعبير عن مشاعر وأفكار عميقة وخفية للمبدع، والتي يصعب فهمها وتأويلها.

3.خصائص الرمز:

يمكن تلخيص أهم الخصائص التي اتسم بها الرمز فيما يلي:

أ: الغموض:

يعد الغموض سمة من السمات التي لها علاقة بالرمز، فهو يضيف له بصمة الإبهام، مما يجعل القارئ ينجذب إليه، للكشف عما يريد الشاعر الوصول إليه، حيث يرى الرمزيون أنه يحقق جمالا في الشعر، وفي هذا الصدد يقول عبد الرحمن محمد قعود: "غموض الأحاسيس وتصوير الحالات النفسية الغامضة بما يشاكلها من تعبير غامض"[1].

وعليه قد "اتصفت بعض التجارب الرمزية بالوضوح، وهم يحسبون أن الغموض ليس أمرا طارئا على الشعر، بل أنه أمر لازم لطبيعة، لأن النفس غامضة والتجربة غامضة، فكيف يفسر عنها بالوضوح دون أن تندثر وتنحدر وتتعفى، والغموض ليس الإبهام المعتمد بل أنه تلك الغلالة الشفافة التي تتراءى الأشياء من قلبها أو أنها مثل مياه الغدير عميقة وجلية"[2]، ومنه أن ضرورة وجوب الرمز في الشعر.

قد يكون الغموض "إما بالتصرف بمفردات اللغة وتركيبها بشكل غير مألوف، أو في التعبير بمعطيات الحواس وتقاطعاتها أو من الإشارات والتلميحات والأعلام التي تحتاج إلى معرفة واسعة أو إلى شروح وتعليقات أو من التكثيف وشدة الإيحاء"[3].

ومن الشعراء الجزائريين المعاصرين الذين استخدموا الرمز في قصائدهم أمثال: "محمد بلقاسم خمار" في قصيدة: "النهر الأسير"، و"عز الدين ميهوبي" في قصيدة: "تراتيل لزمن الورد"، و"عمر البرناوي" في قصيدته: "الكتابة على مدار الزمن،"...

---

[1] : عبد الرحمن محمد القعود، الإبهام في شعر الحداثة، عالم المعرفة، الكويت، 2002، ص102.

[2] : إيليا الحاوي، في النقد والأدب، دار الكاتب اللبناني، بيروت، ط2، 1986، ص64.

[3]: قحطان بيرقدار، خصائص الرمزية دراسات ومقالات نقدية ضمن شبكة الألوكة، مجلة أسامة، سوريا، تاريخ المقال: 24 مارس 2011م.

ب: الإيجاز:

هو فن من فنون التعبير عن الأفكار العميقة والمعاني الكبيرة بألفاظ مختصـــرة وعبارات قليلة، بحيث تصل الفكرة إلى المستمع أو القارئ بدقة ووضوح دون الإطالة.

كما أشـــار ابن الخفاجي إلى الإيجاز في الرمز بقوله: "الأصـــل في مدح الإيجاز والاختصـــار في الكلام، أن الألفاظ غير مقصـــودة في نفســـها، وإنما المقصـــود هو المعاني والأغراض التي احتيج إلى العبارة عنها بالكلام"[1]، بمعنى أن الإيجاز هو حذف الألفاظ التي لا ضرورة لها دون أن يختل المعنى.

والإيجاز نجده يتميز عن الاطناب بأنه يمنع الوقوع في الحشـــو والتكرار غير اللازم، مما يجعل دوره الفعال في الخطاب الذي يحتاج إلى التأثير والإقناع.

ج: الإيحاء:

يمثل الإيحاء الركيزة الأساسية التي يقوم عليها الأدب العربي، حيث يقول "ملارميه": "إن تسمية الشيء حذف لثلاثة أرباع لذة الشعر، إن السعادة تتحقق في أن تخمن قليلا والإيحاء في الشعر يخلق جوا من الحلم، ويقول في موضوع آخر: إن الشاعر يجب أن يتمسك بشيء سوى الإيجاز"[2].

كما نجد أيضـا أن الرمزية قد بدأت "تتبلور وتتضـح ملامحها ومبادئها، ولعل أهم أو أقوى ملمح أو مبدأ لها هو اعتمادها على الإيحاء بدلا من المباشرة والبوح بالشـيء. ومبدأ الإيحاء فيها قوي إلى درجة أنه مجدها، كما يقول درويش الجندي قام على طاقتها الايحائية، ويذهب محمد غنيمي هلال إلى أن تسمية المذهب الرمزي خطأ فادح فالأصح تسميته بالإيحائي"[3].

ومن أبرز الشـعراء الذين وظفوا الإيحاء في قصـائدهم نجد: "عبد الله حمادي" في قصـيدة "الحرف والغراب"، و "يوسف وغليسي" في قصيدة "رماد الحلم".

---

[1] : ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تح/ عبد المتعال الصعيدي، القاهرة 1953، ص251.

[2] : تسعديت آيت حمودي، أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، دار الحداثة، لبنان، ط1، 1986، ص27.

[3] : عبد الرحمن محمد القعود، الإبهام في الشعر الحداثة، المرجع السابق، ص103.

وفي الأخير يعد الإيحاء الإشـارة إلى مقصـدها بطريقة غير مباشـرة من خلال التلميح، والاعتماد على الرمز في ذلك.

ثانيا: ماهية الرمزية:

1: مفهوم الرمزية:

- **في الأدب والفن:**

الرمزية هي أسلوب أدبي وفني يهدف إلى التعبير عن الحقائق الداخلية والتجارب الروحية والمعنوية من خلال إشارات ورموز غير مباشرة، يشمل ذلك استخدام الرموز لتجسيد الأفكار أو المشاعر التي يصعب التعبير عنها بالكلمات، تعتبر الرمزية في الأدب ردا على الواقعية والتجريبية، فهي تسعى إلى خلق عالم مواز من الأحاسيس التي تثير الخيال[1].

يعتبر "بودلير" من أبرز مؤسسي الرمزية، حيث تناول في "أزهار الشر"، تجارب نفسية ومعنوية تعكس الصراع الداخلي والضياع، مما جعل من الرمزية أداة قوية للتعبير عن أعماق الإنسان.

- **الرمزية كمفهوم فلسفي:**

الرمز في الفلسـفة يمثل العلاقة بين الظواهر والباطن، وهو أداة لفهم الحقيقة المعقدة التي تتجاوز الظواهر المادية، وفي هذا السـياق، يتعامل الفلاسـفة مع الرمزية باعتبارها وسـيلة للتوصل إلى معان تتجاوز اللغة العادية.[2]

تناول "دوركهايم" الرمزية كمفهوم اجتماعي وثقافي، موضحا دور الرمزية في بناء المعايير الاجتماعية والتفاعلات الإنسانية، ما يجعلها أداة لفهم الدنياميكات المجتمعية.

[1] : شارل بودلير، أزهار الشر، تر/ أحمد العطار، دار الجمل، بيروت، لبنان، ط2، 2003، ص42.

[2] : إيميل دوركهايم، قواعد المنهج السوسيولوجي، تر/ عبد الرحمان بدوي، دار المدى، دمشق، سوريا، ط1، 1997، ص111.

- **الرمزية في الشعر المقاوم:**

الرمز في الشعر المقاوم ليس مجرد أداة لتصوير المعاناة بل هو وسيلة للتعبير عن الأمل والصمود، يستخدم الشعراء الرمزية لتسليط الضوء على المقاومة الثقافية والسياسية، وتوظيفها كأداة لتحفيز الوعي والتحدي ضد الظلم.[1]

محمود درويش هنا يقدم الرمزية كأداة لتوثيق الذاكرة الوطنية، حيث تكون الرموز مرتبطة بالأرض والنضال، مفتاح لفهم تاريخ المقاوم لشعوب التي تعيش تحت الاحتلال.

2: نشأة الرمزية:

نشأت الرمزية في أواخر القرن التاسع عشر كحركة أدبية وفنية تهدف إلى التعبير عن الأفكار والمشاعر الإنسانية عبر الرموز بدلا من المعاني المباشرة ظهرت في فرنسا كرد فعل على الواقعية الطبيعية، حيث كان الشعراء والفنانون يعتقدون أن العالم لا يمكن أن يعبر عنه فقط من خلال الوصف الدقيق والمباشر، بل من خلال الرمز الذي يفتح أبوابا للخيال والتأمل، وقد كان للرمزية تأثير عميق في الأدب والفن، حيث سعت إلى كشف الواقع الخفي واستخدام الصورة والإيحاء لتمثيل معاني عميقة ومعقدة[2].

فالحركة الرمزية الرسمية تأسست في فرنسا على يد مجموعة من الشعراء والفنانين وكان أبرزهم "بول فيرلين" و "ستيفان مالارميه"، هؤلاء الشعراء سعى كل منهم إلى تجاوز الأدب التقليدي عبر استخدام الرموز التي تدعو القارئ إلى التفكير والتأمل، في هذا السياق، كان الشعار الأساسي للرمزية هو البحث عن المعنى الكامن وراء الظاهر، وتعميق الروح الشعرية بعيدا عن التفاصيل الملموسة[3].

[1] : ينظر: محمود درويش، أثر الفراشة، دار الرياحين، القاهرة، مصر، ط3، 2006، ص134.

[2] : ينظر: شارل بودلير، أزهار الشر، تر/ علي أحمد سعيد أدونيس، دار غليمار، باريس، فرنسا، ط1، 1875، ص72.

[3] : ينظر: بول فيرلين، شعراؤه، تر/ أمين الريباني ابراهيم عبد القادر المارني، دار فليب للنشر، باريس، فرنسا، 1884، ص108.

تأثرت الرمزية بالفلسفات الجديدة والفكر النفسي، وخاصة بتوجيهات مثل الفلسفة المثالية التي سعت إلى الاهتمام بما هو غير مرئي وغير ملموس، كما أن الرمزية تأثرت أيضا بالفن التشكيلي والفلسفة الوجودية من خلال الرموز[1].

لقد كان للرمزية دور كبير في الثورة على الأدب التقليدي، إذ سعت إلى تجاوز المألوف والمباشر في التعبير، إنها ليس مجرد حركة أدبية، بل هي رؤية فنية وفكرية تركز على ما هو غير مرئي، وتبحث في الباطن البشري والعوالم الخفية، هذه الحركة كانت رائدة في تحفيز الإبداع من خلال الرموز والتلميحات التي تفتح أمام القارئ عالما من التأويلات والتفسيرات المتعددة، مما يجعلها أحد المحاور الأساسية في تاريخ الأدب والفن الحديث.

3: رواد الرمزية:

شهدت حركة الرمزية تزايدا في تأثيرها وانتشارها بفضل مجموعة من الشعراء والفنانين الذين كانوا في طبيعة هذه الحركة، هؤلاء الرواد ساهموا في بناء ملامحها وتوسيع مفهومها، مما جعل الرمزية تنتقل من مجرد أسلوب أدبي إلى تيار ثقافي شامل، سنذكر أهم رواد الرمزية ودورهم البارز في رسم معالم هذه الحركة الأدبية والفنية، ومن أشهر روادها:

أ- في الأدب الأجنبي:

1:شارل بودلير (Charles Baudelaire):

يعتبر "شارل بودلير" أحد المؤسسين الأوائل للحركة الرمزية من خلال مجموعته الشهيرة " أزهار الشر"، عمل "بودلير" على تطوير أسلوب شعري جديد يعتمد على الرمز والصورة الشعرية ليعبر عن المعاني المجردة والعواطف الداخلية المعقدة، كانت أعماله تركز على الفكرة أن الجمال يكمن في ما هو غامض وغير قابل للوصف بشكل مباشر.[2]

[1] : ستيفان مالارميه ، الشعر الرمزي، تر/ أسامة أسعد وعبد القادر الجنابي ومحمد بنيس، دار غاليمار للنشر، باريس، فرنسا، ط1، 1876، ص95.

[2] : ينظر: شارل بودلير، أزهار الشر، المرجع السابق، ص45.

يمكن القول إن "بودلير" كان رائدا في اســـتخدام الرمزية للتعبير عن عواطف الاغتراب والقلق وكذلك لتقديم صـــورة شـــعرية للمعاناة البشـــرية، مما يجعل قصـــائده نموذجا للأدب الرمزي.

2: بول فيرلين (Paul verlaine):

يعد "بول فيرلين" من أبرز الشـعراء الرمزيين الفرنسـيين وهو معاصـر "لبودلير"، وكان له دور كبير في تكريس الرمزية كحركة أدبية، اشتهر بأسلوبه الشعري الرقيق والصور المعبرة التي استعانت بالرموز والألوان بشكل مكثف لتوصيل الأحاسيس المعقدة.[1]

يمكن القول أن "فيرلين" كان من أبرز المنظرين للرمزية الشـــعرية التي تعبر عن حالات روحية وعاطفية غير محدودة، ويعتبر شـــعره واحدا من أرقى الأشـــكال الرمزية التي تعكس الجمال في العوالم الداخلية.

3: ستيفان مالارميه (Stephane Mallarme):

كان أحد رواد الرمزية الذين أضـافوا بعدا فلسفيا للشعر الرمزي، كان "مالارميه" يؤمن بأن الشعر يجب ألا يقتصر على وصف الظواهر، بل يجب أن يسعى إلى تجاوز الواقع الظاهر إلى ما هو خفي وعميق، وتعتبر قصـــائده من أشـــهر الأمثلة على هذا التوجيه الذي يعتمد على الرمزية والإيحاء[2].

مالارميه قدم شـعرا يعبر عن تجريدات روحية وفكرية عميقة، مركزا على اسـتخدام الرموز للتعبير عن الغموض الذي لا يمكن أن يعبر عنه بالكلمات التقليدية.

[1] : ينظر: بول فيرلين، شعراؤه، المرجع السابق، ص103.

[2] : ينظر: ستيفان ملارميه، الشعر الرمزي، المرجع السابق، ص89.

4: آرثر رامبوا (Arthur Rimbaud):

آرثر رامبوا كان شـــاعرا فرنســـيا متمردا، ويعد من أبرز رواد الرمزيين الذين قاموا بثورة شعرية ضد أساليب التقليدية، كانت أعماله مثل "شعر الشاعر" تعبر عن التمرد على القيود الاجتماعية والوجودية، واستخدام الرموز التصوير رؤية للحرية والانفصال عن الواقع[1].

يمكن القول إن "رامبوا" جمع بين الرؤية الرمزية والميل إلى التفرد والتجريب في الشـــعر، وكان يفضـــل التعبير عن العالم الداخلي للأفراد من خلال رموز وصـــور غامضـــة تعكس الوجود البشري في صراعه مع الذات والمجتمع.

5: فنسنت فان جوخ (Vincent van Gogh):

على الرغم من كونه رســاما وليس شــاعرا فقد تأثر "فنســنت فان جوخ" بالرمزية في فنه بشكل كبير، استخدم الألوان كرمز لتعكس أحاسيسه الداخلية والمشاعر العميقة التي لا يمكن التعبير عنها بالكلمات، تعتبر لوحاته مثالا بارزا على كيفية اســـتخدام الرمزية في الفن البصري[2].

يمكن القول إن "فان جوخ" كان فنانا رمزيا في الأساس، حيث كانت الألوان والتراكيب في لوحاته ليست مجرد تمثيليات بصرية، بل هي رموز تعبر عن المعاناة الداخلية ورؤية للعالم.

تمثل الرمزية عند هؤلاء الرواد وسـيلة لفهم وتفسـير العالم الداخلي للإنســان، الشــعراء والفنانين الرمزيون ســعوا لاســتخدام الرموز والأشــكال غير تقليدية لتوســيع نطاق المعاني، مبدعين طرقا جديدة للتعبير عن العواطف والأفكار التي يصـــعب التعبير عنها بكلمات مباشــرة، من خلال الرمزية، يمكن فهم الأنماط الثقافية والفكرية التي نشــأت في أواخر القرن التاسع عشر، والتي كان لها تأثير كبير في تطوير الأدب والفن الحديث.

---

[1] : ينظر: أرثر رامبوار شعر الشاعر، تر/ آسية السخيري، دار هاد بركولينز، باريس، فرنسا، ط 1،1873، ص64.

[2] : ينظر: فنسنت فاخ جوخ، رسائل إلى أخيه، تر/ عبده عبود وصالح الأشمر، دار بيترز للنشر، أمستردام، ط2، 2012، ص132.

ب- أشهر رواد الرمزية في الأدب العربي:

ظهرت الرمزية في الأدب العربي متأثرة بنظيرتها الغربية، وأســـهم عدد من الأدباء الذين استخدموا الرموز للتعبير عن أفكارهم ومشاعرهم بأسلوب غير مباشر، وسنذكر أبرز روادها في الأدب العربي.

1: جبران خليل جبران (1883م - 1931م):

يعد "خليل جبران" من أبرز الأدباء الذين أســـهموا في إدخال الرمزية في الأدب العربي، في كتابه "النبي"، استخدم "جبران" أسلوبا رمزياً للتعبير عن فلسفته ورؤيته للحياة، حيث قدم مجموعة من النصـوص الفلسـفية التي تتناول موضـوعات إنسـانية متعددة، مسـتخدما لغة شعرية ورمزية عميقة.[1]

من خلال كتاب "النبي"، قدم "جبران" رؤية فلســفية عميقة للحياة والإنســان، مســتخدما الرمزية كأداة للتعبير عن معانيه، مما جعل الكتاب يعتبر من أهم الأعمال الأدبية الرمزية في الأدب العربي، ومن الرموز التي استخدمها نذكر: (الجبال، الأنهار، الأشجار، النسر،...).

2: ميخائيل نعيمة (1989م - 1988م):

يعد "ميخائيل نعيمة" من الرواد البارزين في الحركة الرمزية بالأدب العربي، في كتابه "مرداد"، حيث استخدم "نعيمة" أسلوبا رمزيا لطرح أفكاره الفلسفية والروحية، وقدم حوارات بين الشخصيات تحمل معاني رمزية تعكس تأملاته في الوجود والحياة[2].

يمكن القول إن في كتاب "مرداد" اســـتخدم "ميخائيل نعيمة" الرمزية للتعبير عن أفكاره الروحية والفلســـفية، مما أضـــفى عمقا على النص وجعله من الأعمال البارزة في الأدب الرمزي، ومن الرموز التي وظفها في أعماله الشعرية نذكر: (الطائر، الجبل، الريح...).

[1] : ينظر: جبران خليل جبران، النبي، مكتبة النهضة، بيروت، لبنان، ط1، 1923، ص15.

[2] : ينظر: ميخائيل نعيمة، مرداد، دار الملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1948، ص27.

3: سعيد عقل (1912م- 2014م):

يعد "سعيد عقل" أحد أعلام الشعر الرمزي في الأدب العربي الحديث، استخدم الرمز كأداة لتعبيريه في أشعاره ومسرحياته، حيث كل يميل إلى التجريد والاختزال، مقدما صورا وإيحاءات تتجاوز المعاني المباشرة أبعاد فلسفية وروحية في ديوانه "رندلى" وغيره من الأعمال، يظهر ميله إلى الرمز من خلال توظيف الأسطورة والرموز التاريخية لإيصال رسائل عميقة ومعان متعددة الطبقات، فهو من أبرز الشعراء اللبنانيين والعرب الذين وظفوا الرمز في أشعارهم.

في ديون "رندلى" استعمل شخصية "رندلى" كرمز للأنثى المثالية والوطن والحب الخالد:

"رندلى حبيبة من نور يكتبها قلبي على الشفق..."[1].

هنا "رندلى" ليست مجرد اسم بل رمز لكا ما هو نقي وأصيل.

يمكن القول إن "سعيد عقل" من أبرز الشعراء اللبنانيين والعرب الذين وظفوا الرمز في أشعارهم، واستخدم سعيد عقل الرمز للتعبير عن أفكار فلسفية وروحية، كما وظف الأسطورة والتاريخ ليعبر عن هواجسه الوحدانية والوطنية.

4: يوسف غصوب (1839م- 1972):

يعد "غصوب" من الشعراء اللبنانيين المتميزين في القرن العشرين، وارتبط بالتيار الروماني والرمزي في الشعر العربي الحديث، استخدم الرمز في أشعاره للتعبير عن المشاعر الداخلية والأفكار المجردة، معتمدا على الصور الشعرية والإيحاءات بدلا من التصريح المباشر، تأثرت كتاباته بالطبيعة والجمال اللبناني، وبرزت قصائده رموز مستمد من البيئة والطبيعة والوجدان، مما أضفى بعدا رمزيا وروحيا[2]، ومن أعماله "القفص المهجور والعوسجة الملتهبة" ففي قصيدة "الخريف" يقول:

نَثَرَ الخَرِيفُ عَلَى الثَّرَى أَوْرَاقَهُ فَتَنَاثَرَتْ كَتَنَاثُرِ العَبَرَاتِ

[1] : سعيد عقل، ديوان رندلى، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980، ص23.

[2] : سليمان بختى، نصف قرن على رحيل يوسف غصوب (1893- 1972) الشاعر الجسر بين الرومنسية والرمزية، مجلة ألف لام، 20 يونيو 2022، اطلع عليه، 5-03-2025 على 10:00.

يَتْرُكْنَ أَغْصَانًا أَلِفْن عِنَاقَهَا وَيقَعْنَ فَوْقَ الأَرْض مُضْطَرِبَاتِ

تَلْهُو بِهِنَّ يَدُ الهَوَاء هُنَيْهَةً وَيَعُودُ يَجْمَعُهُنَّ بَعدَ شتَاتِ[1]

في هذه الأبيات نجد "يوسف غصوب" استخدم فصل الخريف بوصفه رمزا للتعبير والتحول في الحياة، فقد ربطه بالحزن والوحدة، وهو رمز لشجرة الحياة، لعمر الإنسان الذي تتساقط سنوات عمرة سنة بعد سنة، أو يتساقط دفعة واحدة، فالخريف هنا رمز الزمن.

يمكن القول إن "يوسف غصوب" ينتمي إلى التيار الرمزي والرومانسي في الشعر العربي، استوحى رموزه من الطبيعة والوجدان والروحانيات، معبرا عن مشاعره العميقة من خلال الصور الشعرية والإيحاءات الرمزية.

نستخلص مما سبق أن رواد الرمزية أحدثوا ثورة في الأدب من خلال ابتعادهم عن المباشرة والتقريرية، واعتمادهم على الرموز والصور الشعرية الفنية، وقد أسهمت أعمالهم في فتح آفاق جديدة للتعبير الإبداعي، ليظل تأثيرهم حاضرا في الأدب العالمي والعربي حتى اليوم.

من خلال تركيزنا في الفصل الأول على مفاهيم الرمز وأنواعه وخصائصه خلصنا إلى:

اعتبار الرمز وسيلة أساسية للتعبير غير المباشر، يمنح اللغة بعد إيحائيا يعمق المعنى ويفتح المجال للتأويل.

وقد أثبتت الرمزية أهميتها في الأدب والفن من خلال قدرتها على التجاوز المباشر، مما أتاح للشعراء والأدباء التعبير عن أفكار غامضة بطريقة أكثر تأثيراً وعمقاً.

وبفضل تنوع أنواع الرمز وخصائصه، أصبح عنصرا جوهريا في تشكيل هوية الأعمال الإبداعية، كما أسهم في نشوء الحركة الرمزية التي أحدثت تحولاً كبيرا في المفاهيم الأدبية والفنية، مما يؤكد دوره الحيوي في إثراء الخطاب الإنساني عبر العصور.

[1] : يوسف عضوب، أوراق الخريف في ديوان القفص المهجور والعوسجة الملتهبة، مطابع دار المعرض، بيروت، لبنان، 1928، ص47.

الفصل الثاني: تجليات الرمز في ديوان أغنيات نضالية

* دلالات الرمز الفني في الديوان

1. الرموز الطبيعية
2. الرمز الديني
3. الرموز التاريخية
4. الرموز الأسطورية
5. رمزية الألوان
6. رمزية المرأة

تمهيد:

يعد الرمز أحد أبرز الأدوات البلاغية التي يعتمد عليها الشعراء للتعبير عن معان عميقة ودلالات متعددة تتجاوز المعاني الظاهرة للكلمات ففي ديوان "أغنيات نضالية"، يتجلى الرمز كوسيلة للتعبير عن قضايا النضال الوطني والاجتماعي، مستحضرا رموزا تاريخية، أسطورية، دينية، طبيعية، تحمل في طياتها معاني مضمرة ورؤى نقدية، يهدف هذا الفصل إلى دراسة تجليات الرمز في ديوان "أغنيات نضالية" من خلال تحليل دلالاته المتنوعة وتفسير كيف وظف "محمد الصالح باوية" الرمز للتعبير عن قضايا عميقة تتعلق بالواقع الاجتماعي والسياسي.

دلالات الرمز الفني في الديوان:

يعد ديوان "أغنيات نضالية لمحمد الصالح باوية" من الأعمال الشعرية التي تحمل بعدا رمزيا يوظفه الشاعر للتعبير عن المقاومة، النضال والهوية الوطنية، حيث يعتمد الشاعر على مجموعة من الرموز المستمدة من الطبيعة والتاريخ، والدين، والأساطير للتعبير عما يختلج وجدانه وخاصة قضية الكفاح ضد القمع والاستعمار.

1: الرموز الطبيعية:

لطالما كانت الطبيعة منبع إلهام يستمد الشاعر منها أفكاره، لتعبير عن مشاعره، حيث يرى في عناصر الطبيعة (كالشمس، الماء، الريح، البحار، الجبال، ...) رموزا تحمل دلالات متنوعة، وقد ترمز إما انعكاسا للحياة القاسية، أو الحرية والتغير، أو ربما إلى الاضطراب والحزن، فالطبيعة-كما يقولون-هي عود الثقاب الذي يلهب مشاعر الشاعر.

ويعد "محمد الصالح باوية" من أبرز الشعراء الجزائريين الذين تميزت أعمالهم بتوظيف عناصر الطبيعة، ويتجلى ذلك بكثرة في قصائده.

أ: رمز الليل ودلالته:

لقد كان لليل إيحاءات في مخيلة الشعراء قديما وحديثا، ومن بينهم الشعراء الجزائريين المعاصرين، فقد انعكس في قصائدهم كنافذة يطلون منها على همومهم وأفكارهم العميقة، فهم

يجدون فيه تجسيدا للحزن، الوحدة والغربة،...، ذلك لأن الليل يلامس كل تفاصيل الحياة، وكأنه صار شريكا للشاعر في وحدته وهمومه، حيث نجد الشاعر "باوية" قد أبدع في توظيف هذا الرمز فقال في قصيدة "الانطلاق":

مَوْلِدِي يَا مَوْعِدَ النَّصْرِ، صراع

مُطْلِقًا، يَبْقَى صِرَاعًا أَبَدِيًّا

مَوْلِدِي، يَا مَصْرَعَ اللَّيْلِ، صِرَاع

مُطْلِقًا، يَبْقَى صِرَاعًا عَرَبِيًّا

دونَ إِرْهَاص، أَنَا جِئْتُ، جَرِيئًا...[1]

استخدم الشاعر كلمة "الليل" في هذا السياق ليعبر عن بداية الصراع والسعي للتخلص من الاستعمار، فالليل هنا يرمز إلى الظلام الدامس، ورغم أنه يصور وطنه غارقا في ليل طويل من القهر والعذاب، إلا أنه يؤمن بأن هذا الليل سيزول حتما ليحل محله النور الذي يجلب الحرية والسعادة، فالليل رمز للاستعمار الذي بسط أردية الحزن والشقاء على الشعب الجزائري.

ونجد في قصيدة "المخاض"، جعل "الصالح باوية" من "الليل" رمزا لوحشية العدو الفرنسي فيقول:

سُؤَالاَتٍ

نِدَاءَات تُقَهْقِهُ مِنْ بَعِيدٍ

مِنْ قَرِيبٍ

تَنْدَاحُ مِنِّي كَارْتِعَاشَاتِ اللَّهِيبِ

تَعْنَف وَحْشَةُ اللَّيْلِ المُنْحَط فِي حَيَاتِي

وَرَائِحَةُ السِّنِينِ الكَالِحَاتِ

[1]: محمد الصالح باوية، ديوان أغنيات نضالية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980، ص74.

وَتُوقِظُ لَيْلَتِي وَظَلَام صَدْرِي

بِاللَّوْمِ، بِالوَخْزِ الشَّدِيدِ[1].

حمّل رمز "الليل" في هذه الأبيات بعدا نفسيا عميقا تمثل في الحزن الشديد الممتد لسنوات، وعدم وجود بديل سوى التعايش مع الوضع الموحش، عبر الشاعر عنه بحقل دلالي يشير للسياق ذاته فنجد: "الوحشة الليل، الكالحات، الظلام، اللوم"، وعليه هذه اللغة الحزينة العامرة بالتفجع والأسى دلت على مدى خبث هذا المستعمر، فأبانت هذه القصيدة مدى معاناة الشعب الجزائري[2].

وفي قصيدة "ساعة الصفر" يقول:

تَعْصِرُ الذِّكْرَى فَتَنْسَابُ حَنَاجِر

وَالرَّجَا المَغْلُولُ فَانُوسُ

يَلُوكُ الصَّدْرُ فِي لَيْلٍ مُغَامِرٍ

يَا فَتَاتِي،

فَجَري أَعْمَاقِنَا عَبْرَ الدِّيَاجِي،

نحن كون وجزائر[3].

يدل رمز "الليل" هنا كرمز يحمل في طياته معاني القهر والظلم، والتفرقة والحزن، فهو يمثل فترة من المعاناة والمآسي التي عاشها الشعب الجزائري، ويعبر عن الآلام والاضطهاد الذي خلفه الاستعمار الفرنسي.

ويقول أيضا في قصيدة: "الحلقة الضائعة"

---

[1] : الديوان، ص69.

[2] : قاضي الياس وزرادي نور الدين، "دلالة الرمز الطبيعي في ديوان محمد الصالح باوية أغنيات نضالية " أنموذجا"، مجلة الموروث الجامعة أحمد بن بلة، وهران، المجلد 10، العدد 1، 2020، الجزائر، ص371.

[3] : محمد الصالح باوية، ديوان أغنيات نضالية، ص52.

إنّي هُنَا

أَجْتَرُّ ذَاتِي ... وَنِدَائِي يَنْزِفُ

مَا زِلْتُ خَيْطًا مُخْلِصًا لِلْعَنْكَبُوتِ

مَا زِلْتُ عَيْنًا، تَرْقُبُ الدَّولَابَ ليا فِي صُمُوت

رِيحًا وَتَمزِيقًا وَقُبُوا وَعرقْ.[1]

وظف الشاعر لفظ "الليل" في هذه الأبيات رمزا للوحدة والحزن الذي كان يملأ قلوب الشعب الجزائري أثناء فترة الاستعمار الفرنسي، حيث يجسد الليل السهر والتأمل في صمت، مع الانتظار المترقب بما قد يحمل الفجر.

ب: رمز الرياح ودلالتها:

الريح من أحد الرموز الطبيعية التي تكررت كثيرا في الأعمال الشعرية، نظرا لارتباطه بالإنسان منذ القدم، فهو يحمل دلالات متنوعة، جميعها تعكس تأثير الريح كعامل طبيعي قادر على التغيير والاستمرار.

وقد وردت لفظتا الريح والرياح في القرآن الكريم بمعنيين مختلفين؛ فالريح تحمل دلالة سلبية هي الهلاك والدمار، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا عَاد فَأُهْلِكُواْ بِرِيح صَرْصَرٍ عَاتِيَة (5)﴾،[2] أما الرياح فلها دلالة إجابية، كالعطا والنماء والخير، لقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِے أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ نُشُراَۢ بَيْنَ يَدَے رَحْمَتِهِۦۖ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً طَهُورا (48)﴾[3]، ولكن الشاعر "باوية" ربما لم يخطر في باله هذا الفرق فراح يوظف الريح والرياح بمعنى واحد.

يقول "باوية" في قصيدة "إنسانية الطريق":

دَمْدَمَ الرَّعْدُ وَهَزَّتْنَا الرِّيَاح

---

[1] : الديوان، ص52.

[2] : سورة الحاقة، الآية 5.

[3] : سورة الفرقان، الآية 48.

حَطمِي الأَغْلَالَ وَامْضِي لِلسِّلَاحِ

حَطِّمِيهَا... وَاهْتِفِي فِي مِلْءِ الأَثِيرِ

بِإِطْفَاءِ اشْهَدُوا اليَوْمَ الأَخِيرَ [1]

ففي هذا المقطع الشعري وظف الشاعر لفظة "الرياح" كرمز للقوة والمقاومة، فلفظة "الريح" في الأدب والشعر كثيرا ما ترمز إلى القوة، التغيير والمقاومة والهدم خاصة في سياق الحركات التحررية ضد الاستعمار، في هذا المقطع الشعري وظف الشاعر الرياح بوصفها رمزا لا يشير فقط إلى الظاهرة الطبيعية، بل منحها بعدا معنويا، يعكس إرادة الشعب الجزائري وإصراره على فك القيود والتحرر من الاستعمار الفرنسي.

وفي موقف آخر يجعل الشاعر "باوية" من "الرياح" رمزا للتفاؤل والتغيير، إذ يقول في قصيدة: "الشاعر والقمر":

قَدْ قَسَمْنَا ... وَخَطَوْنَا، لِنَرَاكَ

عَانِقِينَا وَادَّفِعِينَا، يَا رِيَاح

فَعِنَاقُ المَوْجِ قَدْ شَدَّ الشِّرَاع

وَأَخْبِرِي الأَقْمَارَ عَنَّا ... وَالصَّبَاحَ[2].

في مقام آخر وظف الشاعر رمز "الريح" لدلالة على عجز وضعف الشعب الجزائري، فيقول في قصيدة "الرحلة في الموت":

لَكِنَّ صَوْتِي

لَمْ تَعُدْ تَحْمِلُهُ الرِّيحُ...

صَحَوْتُ

[1] : الديوان، ص33.

[2] : المصدر نفسه، ص66.

فِي قَلْبِك المَزْرُوعِ فِي أَوْدِيَةِ النَّخْل ...[1]

في هذا المقطع نجد الشاعر يعبر من خلال رمز "الريح" عن إحساس وتلاشي الشعب الجزائري وانكساره، حيث ظهر الريح بوصفه رمزا للضياع والصمت، ففيه الإشارة إلى العجز عن تغيير للمشهد الذي شكله الضباب في بلدة المغير الموطن الأصلي للشاعر.

ج: رمز الشمس والنور ودلالتهما:

الشمس تعني أفول الظلام، وهي آية من آيات الله، فالشمس تشرق الأرض وتنيرها ونشاط الإنسان وحركته مرهونة بها، حتى إذا جاء الليل سكن الناس، وهي تستخدم للحساب وتقدير الشهور، وعليها تقوم بعض العبادات كالصيام، والصلاة، وهي حاضرة في الشعر العربي المعاصر، حيث عبر الشعراء بها عن الجمال، وبها يمدح الملوك، وتختلف دلالتها الرمزية حسب السياق للمعنى الذي يريد إصابته لبلوغ الإبداع الفني، لذلك على الشاعر والقارئ أن يكون على دراية بأساليب اللغة العربية، فدراسة الصور البيانية لها فائدة لمن شاء أن يحيط علما بعبقرية اللغة، ويسبر أسرار الأسلوب ويصبح قادرا على إدراك العلامة القائمة حقا بين العبارة والمعنى أو الفكرة[2].

لذلك نجد الشاعر "باوية " جعل من الشمس رمزا للحرية في قصيدة "الانطلاق"، التي قال فيها:

مِثْلَمَا يَكْشِفُ عَنْ وَجْهِ إِلَه

بَعْدَ كُفْرٍ أَوْ ذُهُولٍ

تَفْلُتُ اليَوْمَ اخْتِلاَجَاتِي رِيحًا وَسُيُول

أُولَد اليَوْمَ مَعَ الشَّمْسَ

مَعَ الزَّهْر

[1] : الديوان، ص119.

[2] : قاضي إلياس وزرادي نور الدين، مجلة الموروث، ص369.

مَعَ الطَّيْرِ يُغَنِّي لِلْحُقُولِ[1]

أشار الشاعر بقوله "أولد اليوم مع الشمس" إلى نهاية حجم المعاناة الكبيرة التي نجمت عن ويلات الاستعمار، وإعلان يوم جديد يحمل في طياته الأمل والحرية، كما أن الشمس هنا ليست مجرد رمزا للضياء والدفء، بل تتعدى ذلك لتصبح دلالة على الفرح والحرية اللذين لا يتحققان إلا بعد معاناة طويلة وآلام يشبه آلام الولادة، فكما أن الولادة لا تأتي إلا بعد عناء الحمل وصعوبة الوضع، كذلك الحرية لا تنال إلا بعد صبر طويل وكفاح مرير.

إضافة إلى ذلك يقول في قصيدة "الشاعر والقمر":

كُوَةُ النُّور ... أَنَا ذَاكَ الوَلُوعُ

رَدِّدِي لَحْنًا شَرُودًا فِي الضُّلُوعِ

وَاسْكِبِي النُّورِ ... وَفَوَاح الطُّيُوبِ

تَنْشُرُ الرُّعْبَ شَمَالًا ... وَجَنُوب

تَفْتَحُ الأَشْوَاقَ فِي ظِلِّ الجُفُونِ

وَتَذْرِي مِا جَمَعَنَا مِنْ طُيُوب[2].

فرمز "النور" في هذا المقطع الشعري، يوحي إلى الأمل وسط العتمة، وارتباطها بالبحث عن الحقيقة والمعرفة، وقد يرمز النور إلى إشارة النور الإلهي، والمعرفة الربانية، وتعبير "أنا ذلك الولوع" يضيف بعدا نفسيا، حيث يظهر الشاعر كشخص متيم بالنور، يسعى نحوه دون توقف.

وفي السياق نفسه يقول في قصيدة "يوميات تبحث عن يوم":

... وَمَا فَارِقُ عَيْنِي مَرُودُ النُّور

وَرِيَاح السَّقَرْ

عَنْ فِكْرَةٍ صَابِرَة ...

[1] : محمد الصالح باوية، ديوان أغنيات نضالية، ص73.

[2] : المصدر نفسه، ص85.

تَنْسِلُ

تَهْوِي ... وَتُعَانِي

تَنْكَوِي[1].

ترمز كلمة "النور" فيما سبق ذكره تعبيرا عن الرؤية والبصيرة، حيث يعبر الشاعر عن حالة من الوعي الدائم، وأن مرود النور لا يفارق عينيه مما يوحي بأنه يرى الأشياء في ضوء الحقيقة والمعرفة، وليس في ظلمة الجهل والغفلة، كما أن النور يرمز للإلهام والإشراق الداخلي، والاستمرارية، والارتباط القوي بالنور.

د: رمز البحر ودلالته:

أخذ فضاء البحر مكانة هامة عند الشعراء المعاصرين في توظيفهم له في قصائدهم، ليجسد صورا تعبر عن القوة والصمود، وهو أحد العناصر الطبيعية التي تكررت بشكل ملحوظ في الأعمال الإبداعية المعاصرة شعرا ورواية.

استخدم "الصالح باوية" لفظة البحر في قصيدة "يوميات تبحث عن يوم" فقال:

فُولَاذِيَة الفُرْسَان

أَرْتَاد السُّجُون ...

ضَمْآن

أَرْتَادُ بِحَارَ الإِنْسِ وَالجَان

أَجُوبُ الحَرْبَ وَالسَّلَمَ[2].

إن المتأمل في أبيات هذه القصيدة نجد شاعرنا قد رمز بمفردة "البحر" للمغامرة والغموض والتحديات، وعندما تضاف إليها عبارة بحار الإنس والجان، فقد تشير إلى استكشاف العوالم الخفية أو التواصل بين العالمين المرئي وغير المرئي.

---

[1] : الديوان، ص108.

[2] : المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

وفي قصيدة الإنسان الكبير" يقول:

هُنَا بَحْرٌ وَأَمْطَار سَخِيَّة

وَرَبِيعٌ صَاغَهُ طِفْلٌ شَعْبِي ... وَصَبِيَّة

أُوقِفُ اللَّحْظَةَ أَنَا لَحْظَة كُبْرَى غَنِيَّة

لَمْ تَزَل تَعْمُقُ أَعماقًا وَأَجْيَالًا فَنِيَّة[1].

يمثل "البحر" هنا رمزا للحياة المتجددة والمتواصلة، مهما اشتدت وطأة القهر والظلم، فهو فضاء يعكس في عمقه رغبة الإنسان في الانعتاق والتجدد، إذ يتحول البحر إلى مجاز للتمرد على واقع يتألم وثورة صامتة تتقد في الأعماق، تماما كما تتلاطم أمواجه بلا انقطاع في وجه القيود الاستعمارية[2].

هـ: رمز الأرض ودلالته:

تمثل الأرض المكان الذي يحن إليه الإنسان، حيث تنبعث منها الحياة بكل صورها، فهي مصدر الخير والعطاء، وتحتضن كل ما هو حي، مما يجعلها ضرورية لاستمرار الوجود، كما أنها ترتبط بمشاعر الانتماء والسعادة، حيث يجد الإنسان فيها جذوره وذكرياته، فالأرض هي الأم التي منها خلقنا وإليها نعود قال "الشابي" في قصيدة "إرادة الحياة":

وَقَالَتْ لِي الأَرْضُ لَما "تَسَاءَلْتُ يَا أُمُ" هَلْ تَكْرَهِينَ الْبَشَرَ؟":

"أُبَارِكُ فِي النَّاسِ أَهْلَ الطُّمُوحِ وَمَنْ يَسْتَلِذُّ رُكُوبَ الْخَطَرْ"

" وأَلْعَنُ مَنْ لا يُماشِي الزَّمانَ، وَيَقْنَعْ بِالعَيْشِ عَيْشُ الحَجَرْ"[3]

[1] : المصدر السابق، ص58.

[2] : الياس قاضي، شعرية الماء في ديوان محمد الصالح باوية ديوان أغنيات نضالية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، مجلة اللغة الوظيفية، المجلد8، العدد 1، 2021، الجزائر، ص436.

[3] : أبو القاسم الشابي، الديوان، قدم له وشرحه الأستاذ أحمد حسن سبح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، (2005م- 1426هـ)، ص71.

الأرض بالنسبة "لصالح باوية" وطن وانتماء، بل هي رمز للهوية والجذور والتاريخ، حيث وظفها لتعكس معاناة الشعب الجزائري تحت نير الاستعمار الفرنسي، وتشير إلى التضحية والفداء في سبيل الكفاح والمقاومة لاسترجاعها من المحتل، حيث يقول "باوية" في قصيدة: "الانطلاق":

أنبَتَ اليَوْم بُذُورًا فِي جُفُونِ الأَرْضِ

سَمْرًا

طَالَمَا نَامَتْ حَزَانِي فِي ضَمِيرِ الأَرْضْ

حَرَّى ...[1]

في هذا السياق ترمز "الأرض" للوطن الأم الذي انتزع من شعبه بالقوة، فتحمل الأرض معاني الانتماء والجذور والتاريخ، فكل شبر منها يمثل السيادة والهوية الوطنية، لذا أصبحت رمزًا للوطن المسلوب الذي يسعى الشعب الجزائري لاسترجاعه.

وفي المقام نفسه يقول في قصيدة "الحلقة الضائعة":

مَنْ يُولَدُ اليوم .. سؤال

مَالَهُ اليَومُ جواب

فَلْيَحْفِرِ الأرض معي .. قلباً جريئاً

رُبَ يَوْمٍ تَلِدُ الأرض الجواب[2].

قدم الشاعر "الأرض" هنا كرمز للوطن المغتصب ولصمود أبنائها في وجه الاحتلال، فهي تمثل روح المقاومة الذي لا ينطفئ، وينظر إليها ككائن حي يتفاعل مع ما يجري من أحداث تصيب الوطن وتشارك شعبها آمالها وآلامها.

[1] : محمد الصالح باوية، ديوان أغنيات نضالية، ص73.

[2] : المصدر نفسه، ص66.

و: رمز النخلة ودلالتها:

حظيت النخلة بمكانة خاصة لدى الشعراء الجزائريين، حيث لا يقتصر الاهتمام بها على كونها مجرد شجرة مثمرة، بل تمتد رمزيتها إلى أبعاد أعمق فالشاعر يوظفها كرمز للألفة والطمأنينة والتجذر في الأرض والتشبث بالهوية والانتماء، إذ يجد فيها تجسيدا للوطن الذي يوفر له الإحساس بالاستقرار والأمان.

ومن بين أبرز الأمثلة على هذا التوظيف الرمزي، ما نجده في قصائد الشاعر "باوية"، الذي جعل من النخلة أيقونة تعبر عن الوطن، فالنخلة ليست مجرد شجرة، بل هي انعكاس لروح الأرض، تمنح الإنسان الإحساس بالطمأنينة والسكنية، كما أنها تقف شامخة وسط قسوة الصحراء، تتحدى جفافها ووحشة رمالها.

يقول الشاعر في قصيدة: "الرحلة في الموت":

يَمْتَدُّ

يَمْتَدُّ ذِرَاعُ النَّخْلَة السَّمْرَاء

يَطْوِي غِلَّتِي

يَشْرِبُنِي آهَةُ لَيْل[1]

يتجلى توظيف رمز "النخلة" في هذه الأبيات للدلالة على الثبات والصبر على استمرار الحياة وتجددها، وتوظيف الشاعر المتكرر للنخلة في ديوانه رمزاً للبيئة الصحراوية.

وفي نفس القصيدة يقول أيضا:

فِي جُرَّة الصَّبْرِ

نِدَاء النَّخْلِ مَات

فِي قَاعِهَا

[1] : الديوان، ص117.

نَهْرُ الهَوَى، جَفَّ .. وَمَاتَ[1].

وظف الشاعر في هذه الأبيات "النخل" رمزا للبيئة الصحراوية التي عاش فيها، وقوله "نداءات النخل مات"، فإنه لا يشير فقط إلى موت الأشجار، بل يعبر عن الدمار الشامل بعد الطوفان.

فالنخلة هنا تجسد أحد أعمدة الحياة في البيئة الصحراوية، وموتها يعكس الخراب العميق الذي أحدثه الطوفان الجارف، هذا الموت لا يحمل دلالة بيئته فقط، بل يشير إلى الخذلان والصمت بعد الصمود، وكأن النخل الذي كان شامخا تحول إلى رمز الانكسار أمام قوة لا تقهر.

رموز طبيعية أخرى:

أ: رمز القمر:

يقول الشاعر في قصيدة: الشاعر والقمر":

هَا أَنَا، يَا قَمَري .. جَمُّ الصِّرَاعْ

نَهَبَ آمَالَ حَيَارَى .. وَالتيَاعْ

هَا أَنَا، يَا رَبّهُ الشِّعْر .. صَدَى

لِهتَافَات عُهُودٍ .. وَوَدَاع[2].

اتخذ الشاعر من "القمر" صديقا ورفيقا في عزلته، ليبوح له بما يعجز عن قوله للبشر، فالقمر بنوره الهادئ جعله يشعر بالراحة، وكأنه صديق قريب يخفف عنه ما في قلبه.

ب: رمز الاعصار:

وظف الشاعر لفظة الإعصار في قوله:

أَنْتَ أُورَاس أَنَا مِلْء كَيَانِي

[1] : الديوان، ص118.

[2] : المصدر نفسه، ص86.

وَأَنَا الإِعْصَار فِي عِيدِ الطَفَاةِ

يَا صَرِير الثَّأْرِ يَسْرِي فِي حَنَايَا ضَرَبَتي نَارا تُنَاغِي

أُمْنِيَاتِي[1]

شبه الشاعر في هذه الأبيات نفسه بالإعصار لقوله "أنا الإعصار" دلالة على شدة الغضب المتأجج في أعماقه، والذي لا يهدأ ولا يلين، وكأنه كالإعصار الهائج، لا سيما في وجه المستعمر

ج: رمز الزيتونة:

يقول الشاعر في قصيدة "الصدى":

... وتَمْضِي السُّنُون

وَإِنّي أُحِسُّ

أُحِسُّ الأَسَى وَحَبِيسَ الأَلَم

تَدفُق نُورًا وَدَمْعًا وَدَم

يَفْجُرُ آمَالُنَا المُغْلَقَة

فَيَدْنُو الصَّدَى ..

يَشَقُّ السِّنِينَ، يَشُقُّ المَدَى

صَدَى ضَحَكَاتِي وَأَشْوَاقِي:

يُدَاعِبُ زَيْتُونَتِي الغَالِيَة

يُعَانِقُ أَهْلِي وَأَقْرَانِيه

بِكُلِّ مَسَاء[2].

[1] : الديوان، ص42.

[2] : المصدر نفسه، ص37.

يشير الشاعر بتوظيفه للفظة "الزيتونة" إلى أرض فلسطين، التي ارتبطت أشجار الزيتون بها منذ القدم، فهي رمز متجذر في أعماق تربتها، ممتد لامتداد تاريخها العريق، ولا توجد أي صورة أقرب لتجسد الأرض الفلسطينية وقداسيتها من شجرة الزيتون والحنين إليها، لما تحمله من دلالات الثبات والصمود والانتماء.

د: رمز الشجيرات:

يقول الشاعر في قصيدة "ساعة الصفر":

فِي بِلاَدِي، بَحرَةِ الشَّوْقِ الطَّلِيقِ

إِنْ تَزُرْنَا، تَلْقَ فِي وَهْرَان قَبْراً

وشجيرات كئيبة[1].

يرمز بالشجيرات في هذه القصيدة إلى مدى الحزن والأسى الذي يعيشه الشاعر نتيجة كثرة القبور، حتى الشجرة التي ترمز للتحدي والثبات في وجه التغيير والرحيل المستمر، بدت عليها ملامح الحزن والضعف.

يتضح أن الرموز الطبيعة في ديوان "أغنيات نضالية"، وظفها الشاعر كرموز عميقة ذات دلالات نضالية، تعبر عن مفاهيم الحرية والإصرار على المقاومة. فالعناصر الطبيعية كالأرض الشمس، الرياح، الليل و...كلها رموز تستحضر في النصوص لتجسد ارتباط الشاعر بوطنه، ولم يقتصر توظيف الشاعر للرموز الطبيعية فقط بل تجاوز ذلك للرموز الدينية.

2: الرمز الديني:

يقصد بالرمز الديني كل ما ورد في القرآن الكريم أو في الكتب السماوية المقدسة كالإنجيل والتوراة والزابور، سواء في العهد القديم أو الجديد[2].

[1] : الديوان، ص53.

[2] : ينظر: ناصر لوحيشي، الرمز في الشعر العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011م، ص66.

وفي ديوان "أغنيات نضالية" وظف الشاعر الرمز الديني ليؤكد مدى ارتباطه وتمسكه بالعقيدة الإسلامية الحنيفة، ومن الرموز الدينية التي وظفها الشاعر:

- لفظ الجلالة (الله):

قال تعالى في سورة البقرة: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ (255)﴾[1].

يقول "باوية" في قصيدة "يوميات تبحث عن يوم":

أَجُوبُ الله

عَنْ حَانِيَة الجَذَع المَعْنَى

فِي خَطَى الأَغْصَانَ

فِي مِلْحِ الرَّغِيفِ الرَّاحِلِ

فِي جُرْح الخَيَال[2].

يدل لفظ الجلالة في القصيدة على إيمان الشاعر بوحدانية الله، فقد جعله رمزا لبيان أن الله وحده مالك هذا الكون المتصرف في شؤونه، حيث يلجأ الشاعر بالدعاء إلى الله لأنه هو القادر على الاستجابة للدعاء وتخفيف المعاناة.

-الصلاة: تعد الصلاة ركن من أركان الإسلام، و"أول فروض الإسلام، وهي آخر ما يُفْقَدُ من الدين، فهي أول الاسلام وآخره"[3].

وردت لفظة "الصلاة" في قول الشاعر:

---

[1] : سورة البقرة، الآية255.

[2] : محمد الصالح باوية، ديوان أغنيات نضالية، ص109.

[3] : أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، كتاب الصلاة، دار حازم، بيروت، لبنان، ط4، 1440هـ-2019م، ص17.

هَا أَنَا يَا بَدْرُ .. يَا لُغْزَ الحَيَاة

يَا شِرَاعَ الشِـْر .. يَا طَهْر الصَّلاَة

كَحَّلَ الجَفَن بِإِشْعَاعِ الإِلَه

هَا أَنَا، يَا قَمَرِي .. جَمَّ الصِّرَاع[1].

جاءت لفظة "الصلاة" في هذه القصيدة رمزا للدلالة على الطهارة والنقاء والقداسة، وكأن الشاعر بتوظيفه للصلاة يصف محبوبته (الجزائر) بأنها شيء مقدس وطاهر.

وفي قصيدة أخرى يقول:

أُقْسِمُ بِالتّينِ ..

وَبِالزَّيْتُونِ ..

مَثْنَى .. وَثُلاَثَ،

بِالنَّخْلَة الرَّاسِخَة العِلْمِ،

بِطَيْرِ اللَّيْلِ مَحْزُونِ اللهاة

أَقْسِمُ بِالطّينِ ...

وَبِالأَشْلاَ .. قُلُوباً وَنَبَاتَ

أَدْغال عَنِي أَبْحَرْتَ[2].

وظف الشاعر في هذه القصيدة التناص من القرآن الكريم المتمثل في قول الشاعر: "أقسم بالتين وبالزيتون" وذلك من سورة التين لقوله تعالى: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ (1) وَطُورِ سِينِينَ (2) وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْاَمِينِ(3) ﴾[3] وكذلك نجد كلمة "أقسم" من سورة البلد لقوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا

[1] : محمد الصالح باوية، ديوان أغنيات نضالية، ص86.

[2] : المصدر نفسه، ص107.

[3] : سورة التين، الآية 3.

ٱلْبَلَدِ (1) ﴾[1]، وقد استبدل الشاعر الواو بالقسم حيث يقسم بالتين والزيتون وهي رموز متجذرة في أراضي تاريخية مقدسة، إذ ترتبط هذه النباتات بالأرض المباركة ارتباطا عميقا، كما وظف الشاعر القسم ليمنح العناصر الطبيعية قدسية خاصة، مؤكدا على ما تحمله من دلالات رمزية.

كما نجد في نفس القصيدة لفظة "الطين" وظفها الشاعر كرمز لبداية الإنسان وقوله "أقسم بالطين"، يؤكد ذلك أن الإنسان خّلق من مزيج التراب والماء.

ويقول أيضا في قصيدة " فدائية من المدينة":

عُصْفُورَة،

دَوْمًا تَبضُ النَّارَ فِي حَي التَنَزْ

مَجْهُولَة

تَجْتَازُ أَدْغَالُ القَدَر

فِي المِخْبَأ المَجْهُولِ[2]

ظهر الرمز الديني في هذه الأبيات في لفظة "القدر" حيث ترمز للإيمان بالله واستجابته للمناضلين، مما يضفي بعدا روحيا على النضال.

3 الرموز التاريخية:

اعتمد الشاعر على توظيف الرموز التاريخية، ومن أهمها نجد الأحداث والشخصيات والأماكن التاريخية.

1: الأحداث التاريخية:

ثورة نوفمبر 1954:

يعد الشاعر "محمد الصالح باوية" واحدًا من أولئك الشعراء الذين احتضنوا الثورة بقوة، حيث عبر عن الوطن والثورة التحريرية بروح متشابهة لتلك التي ميزت شعراء الجزائر الذين

[1] : سورة البلد، الآية 1.

[2] : محمد الصالح باوية، ديوان أغنيات نضالية، ص80.

عاشوا هذا الحدث الثوري الكبير[1]، وقد تجلى هذا الحدث في قصيدة "ساعة الصفر" التي أشار فيها للحظة انطلاق ثورة نوفمبر 1954م، ومحددًا لتوقيتها الزمني منتصف الليل، كتوقيت رمزي لبدء التحرك الثوري، فقد اختار الشاعر هذا التوقيت ليبرز عبره لحظة الانتقال من السكون إلى الانفجار، ففي منتصف الليل يعم الصمت، ومن خلال هذا التوقيت يمنح الشاعر لحظة الانطلاق، فيقول "باوية":

المَدَى وَالصَّمْتُ وَالرِّيحُ ..

تَذْرِي رَهْبَة الأَجْيَالِ فِي تِلْكَ الدَّقِيقَة

قَطَرَاتُ العَرَقِ البَانِي،

نِدَاءُ ..

وَسَلاَلٌ مُثْقِلَات بِالحَقِيقَة

الأَسَارِيرُ، أَخَادِيدُ مَطيرَة

ثَورَة خَرْسَاءُ،

أَهْوَالٌ مغِيرَة

لَونُ عمقٍ يَتَحَدَّى فِي جَزيرَة[2].

من خلال هذا المقطع الشعري وصف الشاعر أحداث "ثورة نوفمبر"، فتلاحظ استخدامه لكلمة "الصمت" في اللحظة التي قرر فيها الثوار التحرك، بعد التفكير والتخطيط، حيث ساد الهدوء، بينما كل الناس يتهيأون في صمت، وهذا الصمت سابق للعاصفة، كما أن كلمة "دقيقة" ترمز للحظة الأخيرة، وهي اللحظة الزمنية التي انطلقت فيها الثورة، وقد" أشار الشاعر إلى عبارتي "ثورة خرساء" و" أموال مغيرة" دليل على الترابط الزمني والحدث التاريخي.

[1] : ليلى طبيب، نسمة بلمسعود، "جماليات التناص في ديوان أغنيات نضالية للشاعر محمد الصالح باوية"، مجلة مخبر البحث في الدراسات الأدبية واللغوية والتعليمية والترجمة، جامعة جيجل، المجلد 3، العدد 1، ديسمبر 2024، الجزائر، ص47.

[2] : محمد الصالح باوية، ديوان أغنيات نضالية، ص49.

وفي القصيدة نفسها يقول:

وَإِذَا رَعَدُ الشِّفَاهِ السُّودِ

يَرْمِي طَلْقَة الصِّفْر، فَتَسَاب الدَّقِيقَة

.. وَإِذَا البَارُودُ عَرْيَدَ

وَالذَّرَى حَوْلى تُرَدِّدُ:

سَاعَةُ الصِّفْر انْفِجَارَاتٌ عَمِيقَة

يَقَظَة الإِنْسَانُ، مِيلاَدُ الحَقِيقَة[1].

حمل الرمز التاريخي في هذه القصيدة قول الشاعر "ساعة الصفر" دلالة قوية ومباشرة، إذ وظفها الشاعر للإشارة للحظة انطلاق ثورة نوفمبر 1954م، لم تكن هذه العبارة مجرد تحديد زمني، بل رمزا للانتفاضة، وتمثل هذه اللحظة الثورية توحد صفوف المجاهدين، لتنطلق العملية المسلحة بشكل متزامن في مختلف ربوع الوطن، معلنة ميلاد الكفاح التحرري ضد الاستعمار الفرنسي.

وقد جسد الشاعر صور المتفجرات التي هزت الجزائر في تلك الليلة التاريخية، في قوله "انفجارات عميقة" وكانت تعبيرا عن الغليان الشعبي وصدى للغضب المكبوت.

وفي قصيدة "إنسانية الطريق" يقول:

دَمْدَمَ الرَّعْد وَهَزَّتْنَا الرِّيَاح

حَطمِي الأَغْلاَل وَامضِي لِلسِّلاَح

حَطِّمِيهَا .. وَاهْتِفِي مِلْء الأُثِير

يَا طُغَاة اشْهَدُوا اليَوْمَ الأَخِيرَ[2]

[1] : الديوان، ص50.

[2] : المصدر نفسه، ص33.

في سياق هذه القصيدة وظف الشاعر تعبير "اليوم الأخير" رمزا للحظة سقوط الاستعمار الفرنسي على الجزائر، ويعلن عن نهاية صلاحية الكيان الاستعماري، إنه اليوم الذي يُطوى فيه عهد الاستعمار، بل يعبر عن لحظة تحول تاريخي الذي تولد فيه الدولة الجزائرية مرة أخرى من رحم الثورة.

ولم يكتف اهتمام الشاعر بالقضايا الوطنية فحسب، بل تجاوزها ليشمل القضايا القومية، إذ كان يرى نفسه جزءا من الأمة العربية ومؤمنا بقضاياها، ومن أبرز القضايا التي عالجها الشاعر: قضية الوحدة بين سوريا ومصر عام 1958، حيث جسد أهمية هذا الحدث التاريخي في قصيدة "الإنسان كبير" يقول:

قَالَ شَعْبِي يَوْم وَحَدَّنَا المَصِيرَ

أَنْتَ إِنْسَان كَبِير

يَا جِرَاحِي

أَوْقِفِي التَّارِيخَ، إِنَّهُ نَبْعُ تَارِيخٍ جَدِيدٍ[1]

تبرز هذه الأبيات توثيق حادثة وحدة مصر وسوريا، وما خلفته من أثر في وجدان الشعوب العربية وقتها، فقد عمد الشاعر للإشارة إلى هذا الحدث التاريخي من خلال قوله "وحدنا المصير"، مؤكدا ضرورة تضامن الدول العربية، كما تستحضر توثيق اتفاقية الوحدة العربية، بوصفها لحظة فاصلة في كتابة جديدة للتاريخ العربي، حيث ترتكز على مبادئ الأخوة والكرامة وتبشر بفجر جديد تنهض فيه الأمة.

كما نجد الشاعر "باوية " قد تفاعل مع حدث تاريخي مأساوي آخر، في قصيدة "التحدي" يقول:

أَتَحَدّى، أَتَحَدَّى بِزَمَانِي، بِوُجُودِي .. فِي قِنَالِي

أَتَحَدَّى

قُوَّة الجَبَّار فِي الأَرْضِ وَفِي الجَوّ وَفِي البَحْرِ وَأَيَان

اسْتَبَدَا

[1] : الديوان، ص57.

لَا وَعِيدًا الاَ حَدِيدا، لَا جُيُوشًا تُوقِفُ الإِعْصَارَ

وَالنَّصْر المُؤَدَّى

أَتَحَدَّى عَاصِفَاتٍ زَرعَتْ أَرْضِي خَرَابًا وَعَدَاوَات[1].

تجسد هذه القَصيدة "أزمة السويس" من خلال اختيار الشاعر للفظة "قناة" التي أضاف إليها ياء الملكية، بالرغم من أنه ليس مصريا، بل يعكس روح الانتماء القومي لقضية مصرية، مؤكدا أن كل ما يمس الأراضي المصرية يمس الأمة العربية بأكملها، فقد كانت مصر رمزا حيًا للوحدة العربية.

وقد حقَّقَ النصر والصمود في معركة السويس للشعب المصري في وجه العدوان الثلاثي، وتحولت القناة رمزا للخلود والفداء والتضحية، وهذا الحدث التاريخي يبعث روح العطاء العربي، وفي هذا الصدد يقول "باوية":

يَا قِنَالي مِنْحَة الإِنْسَان جَدي، أَنْتَ،

لِلإِنْسَان بِنَاءَ الحَيَاةَ

سَوْفَ تَبْقَينَ عَطَاءَ عَرَبِيًّا

رَاعَفَ الفَلاَتَ فَي نَبْضَ الحَيَاة[2].

2: الأماكن التاريخية:

احتل المكان حيزا كثيرا في الديوان الذي بين أيدينا، حيث جعل الشاعر منه رمزا للتاريخ الجزائري العريق، حيث يقول في قصيدة "إنسانية الطريق":

يَا فَتَاتِي هَا أَنَا أَزْحَفُ لِلمَوْتِ بِقَلْبِي وَأَرَى الفَجْرَ طَوَانِي

مِدْفَعِي يَا خَلْجَة الشّعْبَ دَعَانِي جَبَل الأَوْرَاسِي لِلثَّأر دَعَانِي

جَبَلِي يَا جَبَلِي، هَا هِيَ أَشْلاَئي أَلْغَام حَوَالِيكَ حَوانِ[3].

---

[1] : الديوان، ص45.

[2] : المصدر نفسه، ص46.

[3] : المصدر نفسه، ص34.

في هذا المقطع استحضر الشاعر تاريخه الوطني موظفا رموزًا مكانية تاريخية، حيث يشير للأوراس كرمز للجزائر والنضال، ومهد لإنطلاق شرارة الثورة الجزائرية. فاختيار الشاعر لهذا المكان تحديدا لاحتضانه بداية الكفاح قد حمل معنى التضحية الفداء، فاتخذ الشاعر من جبال الأوراس رمزا للصمود والمقاومة في وجه المستعمر الفرنسي.

ويواصل الشاعر "باوية" توظيفه للرمز المكاني (الأوراس) بوصفه معادلاً للوطن.

فيقول في قصيدة "أغنية للرفاق":

هَذِه أَوْرَاس، أَحْلاَم ثِقَال

فِي رُؤى الجَلاَّد فِي لَيْلِ الجَنَاة

أَنْتَ أَوْرَاس أَنَا مِلءُ كَيَانِي

وَأَنَا الإِعْصَار فِي عِيد الطغَاة

يَا صَرِير الثَّأْرِ يَسْرِي فِي حَنَايَا ضَرِيبِي نَارًا تُنَاغِي

أُمْنِيَاتِي[1]

اتخذ الشاعر هنا من "الأوراس" رمزا للوطن والتضحية والبطولة، فالشاعر لا يرى في الأوراس موطن المقاومة فقط بل، كيانا حيًا ينبض بالقوة والإرادة، ويجسد رفض الاستعمار الفرنسي، ومن خلال تفاعل الشاعر مع هذا الرمز يكشف وعيه الوطني وروحه الثورية، ويتجلى هذا في قوله (هذه أوراس، أحلام ثقال، أنا الإعصار، عيد الطفاة) وهي تعابير قوية تحمل دلالات الغضب الثوري والانفجار الشعبي ضد القمع.

كما استحضر الشاعر "باوية " مدينتين فلسطينيتين في قصيدة "التحدي" هما (يافا) و(حيفا)، يقول:

وَتَمْضِي السُّنُونُ

وَأَذْكُر يَا طِفْلَتِي الوَدَاعَة

[1] : الديوان، ص42.

بِعَيْنِيكَ أَنْتَ ....

وَتَرْقُدُ "يَافَا" و"حِيفَا" وَأَصْحَابِيه

بِعِينِيكَ عُمْق كَثِيف الظِّلَالِ

رَهِيب، يُغلّف أَلْفَ سُؤَال

تُطَارِدُنِي

تُصَارِعُ ذُلّي وَغَطْرَستي[1]

استخدم الشاعر مدينتي "يافا" و"حيفا" في هذه الأبيات بوصفها رمزا للمجازر الصهيونية التي ارتكبت في الأراضي الفلسطينية، حيث سفكت الدماء وطرد الآلاف من بيوتهم، فتخلد تلك المدن الجراح والخسائر التي تعرض لها الشعب الفلسطيني، ولكن في الوقت نفسه، تحولت هذه المدن إلى رمز للصمود والكفاح.

وقد وظف الشاعر هذا الرمز ليحي في القارئ روح القومية العربية، ولإقناع كل العالم بأن الاحتلال مهما طال لن يمحو حبنا لفلسطين ولن يطوي صفحتها.

وفي قصيدة "انسان كبير" يقول:

قَالَ شَعْبِي يَوْمَ وَحْدَنَا المَصِير

أَنْتَ إِنْسَان كَبِير

يَا جِرَاحِي

أَوْقِفِي التَّارِيخَ، إِنَّهُ نَبْع تَارِيخٌ جَدِيدٌ

أَوْقِفِي التّارِيخَ، يَجْنِي غِلَّتِي عَبْرَ دِمَشْقَ وَالصَّعِيدَ[2].

في هذه الأبيات أشار الشاعر إلى رمزية المدينتين العظيمتين "دمشق" و"الصعيد"، لما تحمله كل منهما من دلالات تاريخية، فدمشق عاصمة سوريا (الأمويين)، والصعيد مهد

[1] : الديوان، ص38.

[2] : المصدر نفسه، ص57.

الحضارة المصرية القديمة، وقد وظفهما الشاعر في القصيدة كتجسيد لعمق الجذور التاريخية التي تتكئ عليها قضية الوحدة بين سوريا ومصر.

ويقول أيضا في قصيدة "التحدي":

يَا قَنَالِي، مِنْحَة الإِنْسَان جَدِي، أَنْتَ

لِلإِنْسَان بِنَاء الحَيَاة

سَوْفَ تَبْقَينَ عَطَاء عَرَبِيًا

رَاعَفَ الغُلاَّتَ فِي نَبْضِ الحَيَاة[1].

ذكر الشاعر في هذه الأبيات "قناة السويس"، ليجعل منها رمزا للقومية والمقاومة والتحدي ضد الهيمنة الغربية، حيث تعكس مشهد التلاحم العربي في وجه الاستعمار.

3: الشخصيات التاريخية:

"لقد لجأ كثير من الشعراء المحدثين إلى توظيف الشخصيات التاريخية في نتاجهم الشعري، فحملوها أبعاد تجربتهم، وأصبحت وسيلة تعبر فيها عن طاقات تعبيرية غنية، أفادوا منها في التعبير عن رؤاهم المستقبلية، فاختاروا ما يناسب تجربتهم من ملامح الشخصيات المستدعاة، وأولوا تلك الشخصيات تأويلا خاصاً يلائم التجربة التي يريدون التعبير عنها، وأضفوا عليها الأبعاد المعاصرة لتجربتهم ورؤاهم"[2].

وقد خلد ديوان "أغنيات نضالية" شخصيات نضالية بارزة، حيث يستدعي الشاعر رموز الكفاح والثورة ليجسد تضحياتهم في سبيل الحرية، من خلال الصور الشعرية والرمز، ويعيد بناء سير الأبطال بأسلوب يبرز صمودهم وعظمتهم، تتنوع هذه الشخصيات بين قادة عسكريين شهداء ومفكرين، مما يجعل الديوان توثيقا شعريا للبطولة والمقاومة.

قِصَّة الأَوْرَاس .. عرَجي ..

---

[1] : الديوان، ص46.

[2] : نورا مرعي، تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث، دار الفرابين بيروت، لبنان، ط1، 2016م، ص114.

جَرَحْنَا الخَلاَقَ يَا صَحْبِي، وُجُود وَحَقِيقَة

قِصَّة السَّاعِد وَالزَّنَد المُدَمَّى وَالهَدَايَا

وَالمَنَادِيلَ الأَنِيقَة

قِصَّة العِمْلَاق وَيُمْنَاه دِمَاء

وَبُيسْرَاه عَصَافِير رَقِيقَة

قِصَّة الإِنْسَانِ وَالأَرْضَ الوَرِيقَة[1].

يشير الشاعر بقصة "الساعد والزند" إلى "العربي بن مهيدي" الذي كان رمزا للصمود والثورة، حيث كان يجمع بين التخطيط العسكري والقوة الفكرية والسياسية.

أما قوله "قصة العملاق" قد يكون المقصود بها "مصطفى بن بولعيد" الذي كان قائدا بارزا للثورة الأوراس، يمناه دماء ترمز إلى المعارك التي خاضها، وبيسراه عصافير رقيقة، تعكست الجانب الإنساني في شخصيته حيث كان قائدا حازما لكنه يحمل روحا وطنية شفافة.

كما نجد الشاعر "باوية" استحضر شخصية كانت الأقرب إلى قلبه والأشد ارتباطاً به، وهي شخصية رفيقه وابن منطقته، "الشيخ البشير بن خليل أو الشيخ بشير بن رابح، وهو أديب، وكان قاضيا إبان الثورة الجزائرية، كان صديقا لمحمد الصالح باوية، وكان صديقا لعبد الله ركيبي –رحمهم الله جميعاً–، كتب البشير بن رابح عدة مقالات إبان الثورة لكن بأسماء مستعارة، ولهذا لم نستطع الوصول إلى أعماله الأدبية، ولقد أهدى له عبد الله الركيبي مجموعته القصصية"[2]، كما خصص له "باوية" قصيدة كاملة جاءت مرثية مؤثرة تحت عنوان "في واحة شيء"، ومن خلال هذه القصيدة تبين بوضوح أنها لم توجه إلى شخصية مجهولة، بل إلى هذا الصديق الشهيد الذي طالما شاركه الحلم والنضال، وقد تجلت في أبيات هذه القصيدة مشاعر الحزن العميق، والوفاء الصادق، والاعتزاز بسيرة الشهيد حيث عبر فيها الشاعر عن ألمه لفقدانه، واعترافه بدوره البطولي الخالد في تاريخ منطقته.

[1] : محمد الصالح باوية، ديوان أغنيات نضالية، ص51.

[2] : مقابلة مع الشاعر صلاح الدين باوية، يوم 10 أفريل 2025– 20:48.

وفي هذا الصدد يقول "باوية":

يَا مَاسِكَ الأَسْرَار وَالمَوْت ..

وَيَا قَافِلَةَ الإِلْهَام فِي الحَي الجَمِيلِ

يَا حَبَة القَلبِ .. وَيَا عُمْرِي الطويل

يا غَلَّة

تَتْدَاحَ فِي الرِّمل .. وَفِي قَحْط الخَلِيلِ

أَنْهِي إِلَيْكِ

أَلفَ سَلاَم،

أَلْفَ مَوَالِ .. وَحَرْفِ .. وَخَبَرٌ ..

مِنْ قَبضَةِ الفَأْس المَعْنَى..

تَزْرَعُ الواحة مرجًا وَقَمَرْ

مِنْ لَوْعَة العُودِ الذّي يُعْرِقُ فِي حِقْدِ الرِّمَال[1].

هذا النص الشعري يجسد مشاعر حزن الشاعر الممزوجة بالفخر، ويعبر الشاعر من خلال هذه الأبيات فقدان الشهيد من الجنوب الجزائري، إذ نلاحظ أن الشاعر يوظف رموزاً من البيئة الصحراوية، مثل "الرمل" و"الواحة"، ليعكس عمق العلاقة بين الشهيد وأرضه، فهذه العناصر لا تظل مجرد خلفية مكانية، بل تتحول إلى جزء من هوية الشهيد، ورمز لامتداد أثره في المكان الذي ينتمي إليه.

يتضح من خلال ما سبق أن الرموز التاريخية تستمد دلالتها من شخصيات وأحداث وأماكن تاريخية حقيقية، تركت أثرا في الواقع، مثل الثورات والمجاهدين والقادة، وقد وظف "باوية"

[1] : محمد الصالح باوية، ديوان أغنيات نضالية، ص91.

الرمز التاريخي في ديوان "أغنيات نضالية" لترسيخ الهوية والقيم الوطنية، كما نجد الشاعر لم يكتف بتوظيفه لتلك الرموز إلا أنه تجاوزها إلى الرموز الأسطورية.

4: الرموز الأسطورية:

يشكل الرمز الأسطوري تطورًا هاما في الشعر العربي الحديث، حيث أصبح توظيف الأسطورة، التي تتناول قصصًا خرافية وأحداثا من الخيال، فقد أضفى هذا التوظيف عمقا دلاليا في النصوص الشعرية، مما منحها أكثر تأثيرا، ويتجلى أيضا في توظيف الموروث الشعبي، الذي يصوره الشاعر من بيئته ومجتمعه، وغالبا ما تستخدم هذه الرموز لتجسد مفاهيم أزلية مثل الخير والشر، الحياة والموت، والقوة والضعف.

ولقد حمل ديون "أغنيات نضالية"، في طياته مجموعة من الأمثلة التي تعكس ذلك، ومن صور الأسطورة في الديوان نذكر:

في قصيدة "الحلقة الضائعة"، نلاحظ أن الشاعر "باوية"، استخدم الرمز الأسطوري للتعبير عن معان عميقة تتعلق بالصراع والتضحية، فيقول:

وَحْدِي أَنَا

قُرْبَان عَصْر .. وَإِلَه

مَلْعُونَة، أَنْتِ حَيَاتِي،

يَا دُخَانْ[1]

شبه الشاعر نفسه بالقربان، وهو مصطلح يرتبط بالطقوس الدينية القديمة حيث تقدم الأضاحي للآلهة، هذا الاستخدام يضفي بعدا أسطوريا على القصيدة، حيث يصور الشاعر نفسه كضحية تقدم في زمن مليء باللعنات والآلهة الملعونة، مما يعكس حالة من التضحية والمعاناة في مواجهة قوى ظالمة أو ظروف قاسية.

[1] : الديوان، ص66.

أ- أسطورة الغول:

ترمز للخوف والوحشية، وتدور أحداثها حول كائن خيالي عملاق يمتلك القدرة على التحول والتخفي، مما يجعله مصدر رُعْبٍ للناس، وقد أصبحت هذه الأسطورة جزءا لا يتجزأ من حياتنا الشعبية، حيث نجدها حاضرة في القصص القديمة والحديثة على حد سواء، ولا تزال تروى للأطفال خلال الجلسات العائلية لإضفاء جو من التشويق والإثارة.

استخدم الشاعر لفظة الغول" في سياق يمنحها دلالة مختلفة عن معناها الأساسي، حيث ربطها بمفهوم الطوفان الذي اجتاح بلدة المغير سنة 1969.

فيقول في قصيدة "الرحلة في الموت ":

الغُول

يَغْتَالُ بُذُورُ الشِّيحِ فِي دَفَقِ دَمِي

يُغْرِقُ أَحْبَابِي

يَهِيلُ الترب فِي مَلْء فمي ..[1]

عكست هذه الأسطورة الصورة الفنية للطوفان الذي دمر بلدة المغير وأحالها خرابا، متسببا في فقدان الأرواح، ويدمج الشاعر بين الشعور بالحزن العميق والصورة القوية للطوفان، مما تضفي على النص بعدا دراميًا يعكس قسوة المشهد.

وفي توظيف آخر لأسطورة الغول يقول:

يَوْمَ الصَّوَارِي

يَوْمَ تَغْنتَ لِلذُّرَى أَعْلَى السوَارِي

يَوْمَ .. يَوْمَ انْهَزَمَ الغُولُ انْهِزَامًا[2]

[1] : الديوان، ص 102.

[2] : المصدر نفسه، ص94.

فكلمة الغول هنا وظفت رمزاً للاستعمار الفرنسي، الذي فرض هيمنته بالقوة ونشر الرعب والخوف في قلوب الجزائريين، فقد استخدم المستعمر كل وسائل القمع والسيطرة لإخضاع الشعب الجزائري، تماماً كما تصور الأساطير الغول ككائن متوحش يرعب النفوس، هكذا عكس هذا التشبيه بشاعة الاستعمار الذي لم يكن مجرد احتلال عسكري، بل قوة غاشمة حاولت طمس الهوية وسلب الحرية للجزائريين.

ب- الأسطورة الشعبية:

اعتمد الشاعر في قصيدته " في الواحة شيء"، على الأسطورة الشعبية المستوحاة من بيئته المحلية، حيث وظفها بطريقة تضع القارئ في مشهد يجسد بعض من مظاهر الحياة الجزائرية الصحراوية، وقد أضفت هذه الأسطورة على النص طابعاً مميزاً محليا.

يقول في ذلك:

رحَالَة فِي قَدَم التّيه
هَوَى يَقْتَحِمُ الأَسْوَارَ ...
يَبْنِي شَاطِئَ الأَشْوَاق .. دَهْرًا
فِي بَقَايَا نَخلتَيْن
أُغْنِيَة سَاهِرَة الرَّمْح
مِنْ يَومَ اللِّقَاحَ
يَوْمَ تُغْنَى فِي سَمَاءِ الوَاحَةِ الخَضْرَاءَ
طَيْر وَصَبَاح:
وَصَادَني
مَا صَادَهَا
مَا صَادَهَا .. مَرْضَى الهَوَى
مَرْض الهَوَى مَالَ دَوَاءَ
مِنْ حَب الرِّيمِ المغَنَّج[1].

أدرج الشاعر في هذا المقطع الشعري أحداثا مستوحاة من أسطورة شعبية نشأت في بيئته المحلية، وتحديدًا في بلدة المغير، وقد أشار الشاعر في هامش القصيدة شرحا لهذه القصيدة

[1] : الديوان، ص94.

التي تقول إن هناك عاشقين منعتهما الظروف الاجتماعية من الزواج، فخرجا ذات ليلة خفية من قرية "المغير" ثم وجدا ميتين على بعد 3 كلم ومعهما هذه الأغنية الشعبية، وهناك دفنا حيث نبتت نخلتان على قبرهما .. والنخلتان توجدان فعلا اليوم[1].

ج – شخصية أبي زيد الهلالي:

يعرف بأبي زيد الهلالي سلامة، ويكنى بأبي مخيمر أكبر أبنائه وأشجعهم، ويوصف بالأسمر، لأنه كان أسود اللون، وهو وصف يلذ للشعراء والمحدثين ترديده وتكراره، وتصور القصة بطولة أبي زيد تصويرا خارقا، فذ المواهب، موقف الخطوات، أشجع الفرسان، وهكذا عاش هذا البطل في حياته الحربية والسياسية، في قيادته للجيوش ورعايته للقبائل والنجوع، فهو في الحرب شجاع مقدام يخف إلى كل معترك، فلم يخذل في موقف، ولم يغلب في حرب من الحروب، وإلى جانب هذا كله كان رجلا متمسكا بإسلامه، وبدينه، له شخصية متسلطة في الأمر والنهي حزم الأمور، ولهذا كان في الواقع هو المدير الحقيقي لشؤون القوم والأمير عليهم[2].

يقول "باوية" في هذا الصدد:

لِضَجِيج الرَّكْبِ فِي يَوْمِ الرَّحِيل

لِحَدِيث الشَّيْخِ عَن "زَيْدِ الهَلَالِي"

والصَّبَايَا حَوْلَهُ مِثْلُ الهلال

يتزاحمنَ على فَيْضِ الْخَيَالِ[3]

استدعى الشاعر في إبداعه شخصية "أبي زيد الهلالي" إحدى الشخصيات البارزة في قصص "ألف ليلة وليلة"، والتي يرمز بها للصراع الأزلي بين الخير والشر، وتلعب في الأسطورة دورا هاما في رسم صورة للصراع القائم بين المعرفة والحكمة، متمثلتين في شخصية "شهرزاد"، وبين الفوضى والجهل، اللذين يرمز بهما للطغاة والمفسدين، ويمثلها "شهريار"، ومن خلال هذه

[1] : الديوان، ص94.

[2] : ينظر: محمد فهمي عبد اللطيف، أبي زيد الهلالي، دار المعارف، بمصر، ص80.

[3] : محمد الصالح باوية، ديوان أغنيات نضالية، ص87.

القصص، يتم تمرير القيم الأخلاقية والاجتماعية التي تعكس واقع المجتمعات على مر العصور، مما يجعلها تظل حية ومتجددة في الذاكرة الثقافية.

يتبين أن الرموز الأسطورية التي وظفت في ديوان "أغنيات نضالية" مربوطة بالخرافات والمعتقدات القديمة، واستخدمها الشاعر للتعبير الانساني والأمل والمقاومة.

5: رمزية الألوان:

أصبح اللون في الشعر العربي المعاصر عنصراً بارزاً يعكس عمق الجمال والإبداع الفني، حيث لم يعد مجرد أداة تصويرية، بل تحول إلى وسيلة تعبيرية تحمل دلالات رمزية وإيحاءات تثري النص الشعري "فاللون آلية أحسن الشعراء توظيفها في التعبير، خاصة لدى الشعراء الوجدانين الذين اعتبروه قوة هامة تؤدي دلالات متناغمة وعنصرا مهما في الكون لا يمكن تصور الأشياء إذا فقدت هذه الميزة"[1].

وقد أخذ اللون عند "باوية" بعدا رمزيا، يحمل دلالات تعكس مشاعره العميقة، فاللون في قصائده ليس مجرد عنصر جمالي، بل إشارة معنوية توحي بحالاته النفسية وتجسد أفكاره وانفعالاته، ومن أبرز الألوان التي اعتمد عليها "باوية" في بناء صوره الشعرية نذكر:

أ: اللون الأخضر:

يعد اللون الأخضر لونا يرمز للنشاط والبهجة، حيث يمنح الشعور بالبهجة، بالراحة والطمأنينة، كما يجسد معاني الحياة، ويعبر عن السلام والتوازن.

كما ورد اللون الأخضر في القرآن الكريم، حاملا دلالات إيجابية مرتبطة بالنعم والجمال والراحة، لقوله تعالى: ﴿ عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْر وَإِسْتَبْرَق وحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّة وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابا طَهُوراً(21)﴾[2].

[1] : سليم كرام: الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، مذكرة ماجستير، إشراف محمد لخضر فورار، جامعة بسكرة 2007-2008، ص179.

[2] : سورة الإنسان، الآية 21.

يعرف اللون الأخضر بكونه لون الطبيعة الحية والمزدهرة، ويعد من أكثر الألوان التي تمنح الشعور بالاستقرار النفسي.

ولم يكن "محمد الصالح باوية" بعيداً عن هذا المفهوم، إذ رأى في اللون الأخضر رمزاً للتفاؤل والأمل، يقول في قصيدة "الانطلاق":

مِثْلَمَا يَنْهِلُ صُبحُ فِي كُهُوفِ مُعْتِمَة

مِثْلَمَا يَنْسَكِبُ الإِلْهَامُ فِي عقْمِ العُقُول

مِثْلَمَا يُولَدُ فِي التِّيهِ اخْضِرَار بَعْدَ مَوْتٍ

أَوْ أَفُولْ[1]

اتخذ الشاعر "اللون الأخضر" رمزا نقيضا للظلم والاستبداد، فهو لون الأمل الذي ينبض في قلوب الثائرين، ولون الأرض التي تستعيد عافيتها بعد الدمار والخراب، لذلك يرتب الشاعر أفكاره بطريقة تجعل من اللون الأخضر رمزا للثورة والحرية، حيث تتجسد من خلاله مقاومة الاستعمار الفرنسي الذي حاول طمس الهوية للشعب الجزائري والتفاؤل بقيام الثورة وزوال الاستعمار.

ويقول أيضا في قصيدة "في الواحة شيء":

دُولَابُهُ العَاشِق فِي صَحْرَاءِ كَفَّيْه،

جَنَاحٌ أَخْضَرُ الرِّيشِ .. جُسُور

مَازَالَ شَوقًا غَارِقًا ...

يَسْقِي المُرُوءَات أَمِينًا .. وَالهَوَى

يَسْقِي الصَّقُور[2].

[1] : الديوان، ص73.

[2] : المصدر نفسه، ص92.

ربط الشاعر "اللون الأخضر" في هذه الأبيات بالمجد والحرية، حيث يتجلى بوضوح كرمز للأمل والانعتاق من القيود، إن هذا اللون عكس على اقتراب النصر، رغم أن الطريق إليه مازال يحتاج إلى الإصرار والتضحية.

كما نجد أن الفعل "يسقي" قد تكرر ليؤكد حتمية الجهاد في سبيل تحقيق الحرية، ويسقي الأجيال القادمة روح المقاومة والاصرار على الانتصار، فكما تحتاج الأرض العطشة الى الماء لتنمو وتزدهر، كذلك تحتاج الحرية إلى التضحيات من أجل الإستقلال.

ب: اللون الأحمر:

جسد "باوية" صور الدماء والتضحيات في سبيل الوطن، موظفا في ذلك اللون الأحمر، فيقول:

هَا هُنَا رَايَاتُنَا الحُمْر، تُنَاغِي ثَوْرَة الفَجْر وَأعْرَاس السِّلاَحِ

هَا هُنَا يَا أَختَ لبّى شَعَّبُنَا شَوْقَ جِرَاحِي وَنِدَاءَات الصَّبَاح

هَا هُنَا، مَوْعِدُنَا بِالنَّصْرِ مِنَ قَرن ثَقِيلٍ غَاصَ فِي عُمْقِ الجِرَاحِ

جَمْعِي أَحْقَادَكِ الغَضبَى قَنَاتِي لَعْنَة حَمْرَاءَ فِي عنف الكِفَاحِ[1].

استحضر الشاعر في هذا المقطع الشعري "اللون الأحمر"، ليجسد من خلاله عمق مشاعر ومعاناة الشعب الجزائري، إذ لم يكن مجرد اختيار عشوائي، بل رمزاً قوياً يستدعى إلى الأذهان صور الضحايا والدماء التي سالت نتيجة لوحشية الاستعمار الفرنسي.

ويقول أيضا في قصيدة "الرفاق":

الآلاَمُ جُوعِي

قَهْقَهَ القَيْدُ بِرِجْلِي يَا رِفَاقِي، حَدِّقُوا .. فَالثَّأْرُ

يَجْتَر ضُلُوعِي

[1] : الديوان، ص33.

يَا جُنُون الثورَةِ الحَمْرَاء يَجْتَرُّ كيَانِي وَمَغَارَات

رُبُوعِي[1]

وظف الشاعر "اللون الأحمر" في هذه الأبيات واصفا به الثورة الجزائرية ضد الاستعمار الفرنسي وعاكسا ما يجري فيها نظرا لحجم الدمار ودم الضحايا الذي نزف من أجل الاستقلال والتحرر.

ج: اللون الأسود:

يعد اللون الأسود نقيضا مباشرا للون الأبيض، ويكتسب دلالته من هذا التضاد، إذ إنه يرمز للغموض والانطفاء، وقد ارتبط دوما بمفاهيم سلبية في المخيلة الإنسانية، ومع ذلك لا يمكن للعقل أن يتجاهل قوة هذا اللون وحضوره اللافت في مختلف جوانب الحياة، ورغم ارتباطه بالليل والسكون، إلا أن ذلك لا ينفي ما فيه من راحة وهدوء يسكنان النفس.

ولعل لهذا السبب، أصبح الأسود لونا مفضلاً لمن يبحثون عن صفاء الفكر وعمق الإلهام، فكان رفيقا للفنانين والمبدعين في أعمالهم الأدبية والشعرية، مانحين إياه معاني متعددة ورموزا ثرية، كما يظهر هذا في قول" باوية "في قصيدة "يوميات تبحث عن يوم ":

فِي اللَّيْلَة اللَّيْلاَء

فِي المَلْحَمَة الخَضْرَاء

فِي قَبْوِ الأَسَى وَاللَّعْنَة السَّوْدَاء

فِي مِدْخَنَة مَغفِرَة الأَمْعَاءِ

فِي صُومعَة مُتْعَبَة الإِسْرَاء ..

عَيْنِي أَبْحَرتْ[2].

[1] : الديوان، ص41.

[2] : المصدر نفسه، ص106.

جسدت لفظة "السوداء" رمزا لظلمة القبر وما يختزنه من رهبة وصمت، وقد ربط الشاعر هذا السواد بأماكن موحية كالمقابر والمدخنة، كما اقترن أيضا بالليل بوصفه وقتا يسود فيه السكون والهدوء، والغاية من هذا الرمز إيصال الإحساس للقارئ، ليعيش التجربة الشعورية بكل أبعادها.

وفي قصيدة "ساعة الصفر" يقول:

قَدَمِي الدَّامِي .. دُرُوب شَائِكَات

وَسِرَاجٌ يَأْكُلُ البِيدَ السَّحِيقَةَ

.. وَإذَا رَعَدَ الشِّفَاهَ السُّود

يَرْمِي طَلْقَة الصِّفْر، فَتَتَسَاب الدَّقِيقَة[1].

وظف الشاعر "اللون الأسود" في قوله (الشفاه السود)، وذلك رمز للغضب والصراخ المكبوت وشفاه متعطشة للثورة، تشتعل فيها الكلمات قبل أن تنطق، حاملة رسائل الغضب والرفض والحلم بالحرية والعدل.

د: اللون الأسمر:

يعرف "ابن منظور" اللون الأسمر في "لسان العرب" بأنه "لون يضرب إلى سواد خفي"[2]، وقد ارتبط هذا اللون بشعوب عديدة، من بينهم العرب، الذين اتخذوا من سمرتهم علامة مميزة، كما سعوا إلى ربط اللون الأسمر بأرضهم، فأضفوا على التراب هذا اللون للدلالة على الأصالة والانتماء.

يوظف الشاعر "باوية" في ديوانه "أغنيات نضالية" اللون الأسمر رمزا للانتماء والارتباط بالبيئة الصحراوية، فيقول:

لَوْن عَمق يَتَحَدَّى فِي جَزِيرَة

[1] : الديوان، ص50.

[2] : ابن منظور، لسان العرب، المرجع نفسه، ص2090.

الأَسَارِير صَدَى حُلم

تَبْدَى فِي الجِبَاهِ السُّمْرِ يَوْمًا[1]،

يبدو أن الشاعر في هاته الأبيات أراد أن يعبر عن هويته وأصالته، ولعل لفظة (الجباه السمر) أكبر دليل على ذلك، فهو يصف بها الإنسان العربي الذي استوطن الجزائر عامة، والصحراوي خاصة، حيث لا ينفصل عن نسبه، إذ يعد اللون الأسمر ميزة عربية متأصلة في الحضارة وموروثها، فاستخدام الشاعر لهذا اللون له مرجعتيه الواقعية.

وفي قول آخر من قصيدة "الرحلة في الموت":

يَمتَدُّ

يَمْتَدُّ ذِرَاعُ النَّخْلَة السَّمْرَاء

يَطْوِي غِلَّتِي[2]

فاللون "الأسمر" في الأبيات الشعرية السابقة يعكس مدى ارتباط الشاعر بأرضه وبيئته الصحراوية، حيث يحمل هذا اللون دلالة واضحة على أصالة البيئة وانعكاسها في تكوينه الشعري، كما يبرز اللون "الأسمر" تأثير البيئة الصحراوية في تشكيل الرؤية الإبداعية، مما يزيد قصائده طابعاً مستمداً من خصائص الطبيعة المحيطة به ليؤكد بذلك حضور الهوية البدوية في تجربته الشعرية.

إن توظيف "محمد الصالح باوية" لرمزية الألوان من أبرز الآليات الرمزية التي استثمرها في ديوان "أغنيات نضالية" حيث تتجسد في صور متعددة للتعبير عن مشاعر النضال، الألم والأمل، إذ جاءت الألوان محملة بدلالات عميقة تنسجم مع السياق الثوري والوطني الذي يطغى على الديوان.

6: رمزية المرأة:

[1] : محمد الصالح باوية، ديوان أغنيات نضالية، ص49.

[2] : المصدر نفسه، ص117.

تعد المرأة من أبرز القضايا التي شغلت اهتمام الإنسان عبر العصور، فتناولها في كتاباته بإعجاب وافتتان، بل أصبحت فاعلة وشريكة حقيقية إلى جانب الرجل في مختلف المجالات، وقد تجلى هذا التحول بشكل لافت في المجتمع الجزائري، حيث خاضت المرأة نضالات متعددة من أجل الحرية والكرامة، مسجلة بذلك بصمات تاريخية لا تمحى.

تمثل المرأة في ديوان 'أغنيات نضالية" رمزا قويا للنضال والتضحية، حيث تتجسد في صور متعددة تعكس دورها في الكفاح وفي الثورة الجزائرية، فهي الأم التي تودع أبناءها الشهداء، والمناضلة التي تشارك في الكفاح، والحبيبة التي تنتظر العودة، وأحيانا الوطن نفسه، يقول "باوية" في قصيدة "أغنية للرفاق":

يَا رِفَاقِي يَا رِفَاقِي فِي الذّرَى، فِي السِّجْنِ فِي القَبْرِ وَفِي

الآمِ جُوعِي

قَهْقَهَ القَيْدُ بِرِجْلِي يَا رِفَاقِي، حَدّقَوَا.. فَالثَّأْر

يَجْتَرُّ ضُلُوعِي

أَقْسَمَت أُمّي بِقَيْدِي، بِجُرُوحِي سَوْفَ لَا تَمْسَح

مِنْ عَيْنِي دُمُوعِي. [1]

نرى أن الشاعر "باوية" قد استخدم لفظة "أمي" رمزا ليعبر من خلالها عن تعلقه بالوطن المسلوب مشيرا به للجزائر، ذلك البلد الذي انتزعت حريته، لكن الشعب الجزائري لم يتخلى عن عزيمته وإرادته في استرجاعه، فجاء هذا الرمز ليحمل في طياته مشاعر الحنين والإنتماء، إضافة إلى دلالة النضال والتضحية من أجل استعادة الوطن المسلوب من الكيان، يقول في قصيدة "ساعة الصفر":

هَا أَنَا.. أخْت زَخَر زحَام

تَلْقَطُ الأَزهَار فِي حَقْل الجَمَاجِم[2]

[1] : الديوان، ص41.

[2] : المصدر نفسه، ص52.

وَقَالَ فِي نَفْسِ القَصِيدَة:

يَا فَتَاتِي

فَجَرِي أَعمَاقُنَا عَبْر الدَّيَاجِي،

نَحْنُ كَوْن وَجَزَائِر

يَا فَتَاتِي،

انْفِضِي اصْدَافَنَا ... فَالسِّرُّ فِي أَحْشَائِهَا[1]

استدعى الشاعر المرأة في هذه الأبيات للتعبير عن الألم والأمل والصمود، مما يجعل شخصية المرأة في الديوان عاكسة صور أيقونة النضال الوطني، فمن خلال هذه الرمزية، يبرز الشاعر دور المرأة في صنع التاريخ، حيث كانت رمزاً للتحدي والتضحية، وقد برز دورهن في دعم الثورة والنضال من أجل الحرية والاستقلال.

وبصيغة أخرى وظف "باوية" رمز المرأة في قوله:

بَائِعَةُ الأَعْمَارِ

فِي عُمْرِ الزَّهْرِ

عُصْفُورَة

دَومًا تَبِيضُ النَّارَ فِي حَي التَتَرْ[2].

يعكس البيت الشعري الأول تصويرا رمزيًا عبر عنه الشاعر عن معاني التضحية والفداء من أجل الوطن، كما يتضح في قوله (بائعة الأعمار)، إذ يوجه حديثه للمرأة الجزائرية، مجسدا إياها رمزا للتضحية والصمود، وتلك التي وهبت عمرها في سبيل مقاومة الاستعمار الفرنسي.

وفي قول آخر مخاطبا البراءة الفلسطينية:

وَتَمْضِي السُّنُونُ

[1] : الديوان، ص52.

[2] : المصدر نفسه، ص79.

وَأذْكُر يَا طِفْلَتي الوَادِعَة

بِعَيْنَيْكِ أَنْتِ ..

بِعَيْنَيْكِ تَرْعَشُ مَأْسَاتِيه

بِعَيْنَيْكِ تَرْقُدُ يَافَا وَحِيفًا وَأَصْحَابِيه[1].

إن كلمة "طفلتي" ترمز لكفاح المرأة ونضالها منذ نعومة أظافرها، ويشهد على البراءة التي تغتال كل يوم في أرض فلسطين من دون ذنب.

بشكل عام، تظهر رمزية المرأة في ديوان "أغنيات نضالية"، التزام الشاعر بقضايا الوطن والحرية، حيث تصور كمنبع للحياة والجمال، وتستخدم هذه الرمزية للتصوير وتأكيد دور المرأة الفعال في النضال الاجتماعي والسياسي.

في ختام هذا الفصل الذي تناولت فيه الجانب التطبيقي من البحث، فقد توصلت إلى:

كيف توظف الرموز والدلالات كوسيلة فنية راقية للتعبير عن هموم الجماعة الوطنية، وتجسيد معاناة الإنسان الجزائري تحت نير الاستعمار، فقد استطاع الشاعر أن يحول الكلمة إلى أداة مقاومة، والرمز إلى جسر يربط بين الواقع والآمال، مستثمرا إشارات تاريخية ودينية وأسطورية .. تعكس الثقافة الجزائرية، وعليه فإن الديوان لا يعد مجرد نص شعري نضالي فحسب، بل هو وثيقة رمزية حاملة لذاكرة المقاومة وصوتها المستمر في وجه الظالم، يتجاوز بعدها الزماني ليبقى خطابا إنسانيا خالدًا.

[1] : الديوان، ص38.

خاتمة

الخاتمة:

وفي الختام، لا يسعني إلا أن أحمد الله سبحانه وتعالى الذي أنار طريقي ووفقني في إنجاز هذا البحث، وأعانني على إتمامه، ومن خلال دراستي لموضوع "الرمز والدلالة في ديوان أغنيات نضالية لمحمد الصالح باوية" توصلت إلى مجموعة من النتائج، أبرزها:

- لقد شهد مفهوم الرمز اختلافا ملحوظا في الآراء وتعددا في وجهات النظر، نتيجة استخدامه من قبل عدد كبير من الأدباء وتناوله من طرف النقاد، كل منهم قدم تعريفا خاصا. وقد أدى هذا التعدد إلى بروز اختلافات واضحة في فهم الرمز، سواء من الناحية اللغوية التي تعنى بجذر الكلمة ودلالتها الأصلية، أو من الناحية الاصطلاحية التي تهتم بتحديد المفهوم ضمن سياق نظري أو نقدي معين، ويعكس هذا التباين مدى غنى المفهوم وتعقيده، إضافة إلى مرونته التي تجعله قابلاً للتأويل.
- تعد الرمزية اتجاها أدبيا نشأ في فرنسا، وكان من أبرز روادها الشاعران الفرنسيان "بول فيرلين" و"ستيفان مالارميه"، اللذان أسهما في تأسيس ملامح هذا المذهب.
- يعد توظيف الرمز في الشعر المعاصر أداة فنية استحدثها الشعراء لإثراء لغتهم الشعرية وتوسيع أفقهم التعبيري.
- الرمز أنواع منه: الطبيعي، الديني، التاريخي، الأسطوري ...، ولم يخرج الشاعر "باوية" عن باقي الشعراء المعاصرين في طريقة استخدامهم للرمز، حيث اختار رموزه مستلهما أبعادها التاريخية والدينية، منحها حركة زمانية ومكانية داخل النص، موظفا لغة بسيطة في ظاهرها.
- يعد الايحاء من أبرز خصائص الرمز إذ يمثل عنصرا جوهريا في تشكيل اللغة الشعرية وبناء دلالاتها العميقة.
- تندرج معظم الرموز المستخدمة ديوان" أغنيات نضالية" ضمن إطار دلالي يعكس الحالة النفسية للشاعر.
- يمثل الرمز الطبيعي من أهم الرموز التي لجأ إليها الشاعر ليعبر من خلاله عن واقعه المعيش، وقد تعددت دلالات الألوان في نصوصه الشعرية.

- نوَّع الشاعر في استخدامه للرموز التاريخية من أحداث، وشخصيات، وأماكن تاريخية جسدت فترة الاستعمار الفرنسي في الجزائر.
- وظف الشاعر الرموز الأسطورية المستوحاة من القصص الخرافية والميثيولوجيا القديمة.

وفي الختام، أرجو أن أكون قد وفقت في بلوغ أهداف هذه الدراسة، والإجابة عن الإشكالات التي طرحتها في بداية الدراسة من خلال دراسة الرمز والدلالة في ديوان "أغنيات نضالية"، ومع ذلك، يبقى الموضوع مفتوحًا أمام قراءات أخرى، إذ إن البحث العلمي لا يقف عند حد، ولا تزال هناك قضايا وأسئلة تستحق المزيد من التعمق والدراسة، أتمنى أن تجمعني بها محطات دراسية أخرى في المستقبل المأمول.

- والله ولي التوفيق-

ملحق

التعريف بالشاعر محمد الصالح باوية:

ولد "محمد الصالح باوية" ببلدة المغير، التي كانت تابعة لولاية الوادي سنة 1930م، بدأ تعلمه بحفظ القرآن الكريم، ثم التحق بالمدرسة الابتدائية في مسقط رأسه بعد ذلك، انتقل إلى معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، حيث نال شهادة الأهلية سنة 1952م، وواصل دراسته بجامع الزيتونة لفترة قصيرة، ثم أرسلته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ضمن بعثة علمية إلى الكويت، هناك أمضى خمس سنوات حصل خلالها على شهادة الثانوية عام 1957م، تم التحق بكلية العلوم في سوريا.

عقب نيله شهادة الليسانس، واصل دراسته في يوغسلافيا، حيث التحق بجامعة بلغراد لدراسة الطب، وحصل على شهادة الدكتوراه عام 1968. خلال تلك الفترة، كان ناشطا ضمن اتحاد الطلبة الجزائريين وهيئة تحرير المجلة الطلابية، كما تربطه علاقات وثيقة بالحركة الطلابية في الكويت وسوريا ويوغسلافيا.

عند عودته إلى الجزائر، تخصص في الجراحة وانضم إلى اتحاد الكتاب الجزائريين. عمل طبيبا في مستشفى البويرة، وابتعد عن الساحة السياسية إذ لم تعجبه الأوضاع السائدة آنذاك. قضى سنواته الأخيرة بين البويرة والجزائر العاصمة، وخلف ديوان شعر بعنوان "أغنيات نضالية"[1].

محمد الصالح باوية الشهيد الذي لا قبر له:

عانى "محمد الصالح باوية" مثل باقي الجزائريين، ويلات العشرية السوداء التي أتت على الأخضر واليابس في التسعينات بالجزائر، وبعد أن اشتغل طبيبا في مختلف المستشفيات الحكومية الجزائرية، وقد مارس طب العظام في مستشفى الدويرة ثم البليدة، تسنى له بعد ذلك فتح عيادة خاصة، هذه العيادة التي اختطف منها يوم 07 أفريل 1996م، ربما قدر له أن عاش بعد تاريخ اختطافه بعض شهور، ولكن الأكيد أنه لم يعش لسنوات بعد ذلك، لأنه قد أجريت له عملية جراحية حديثة العهد قبل اختطافه هذه العملية أثرت على صحته كثيرا، وكان يبلغ من العمر آنذاك 66 سنة بعد اختطافه أصبح حديث العام والخاص، أقيمت له جنازة

[1] : ينظر: سيرة مأخوذة من كتاب أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، طبعة خاصة، ج10، 2007.

بـ"المغير"، حضرها كثير من الناس، ولكن ما يجز في النفس أنه لم يحظ بقبر مثل الأموات، فكان الشهيد الذي لا قبر له، فرحمة الله عليك أيها الشاعر الطبيب والمجاهد الشهيد، وتغمدك برحمته الواسعة.[1]

ديوان أغنيات نضالية:

هو المجموعة الوحيدة التي طبعت للدكتور محمد الصالح باوية سنة 1971م من طرف الشركة الوطنية للنشر والتوزيع/ بالجزائر.[2]

وقد ضم ديوان أغنيات نضالية القصائد التالية:

إنسانية الطريق، الصدى، أغنية الرفاق، التحدي، ساعة الصفر، الإنسان الكبير، أعماق، فدائية المدينة، الشاعر والقمر، في واحة شيء، رحلة المحراث، الرحلة في الموت.[3]

[1] : نبذة عن الشاعر محمد الصالح باوية، إعداد صلاح الدين باوية مستلة من كتابه: محمد الصالح باوية الشاعر الطبيب والمجاهد الشهيد، دار الماهر، العلمة، 2019م.

[2] : الديوان، ص9.

[3] : المصدر نفسه، ص9.

قائمة المصادر والمراجع

-القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

أولا: المصادر:

1: سعيد عقل، ديوان رندلى، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 1980.
2: أبو القاسم الشابي، الديوان، قدم له وشرحه الأستاذ أحمد حسن سبح، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط4، (2005م- 1426هـ).
3: محمد الصالح باوية، ديوان أغنيات نضالية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980.
4: يوسف غصوب، أوراق الخريف في ديوان القفص المهجور والعوسجة الملتهبة، مطابع دار المعرض، بيروت، لبنان، 1928.

ثانيا: المراجع

أ: الكتب:

1: أسماء الخوالدية، الرمز الصوفي بين الاغراب بداهة والإغراب قصدا، دار الأمان، الرياض، ط1، 2014.
2: إيليا الحاوي، في النقد والأدب، دار الكاتب اللبناني، بيروت، ط2، 1986.
3: تسعديت آيت حمودي، أثر الرمزية الغربية في مسرح توفيق الحكيم، دار الحداثة، لبنان، ط1، 1986.
4: جبران خليل جبران، النبي، مكتبة النهضة، بيروت، لبنان، ط1، 1923.
5: الديدي عبد الفتاح، الخيال الحركي في الأدب، الهيئة المصرية العامة للكاتب، 1990.
6: عبد الرحمن محمد القعود، الإبهام في الشعر الحداثة، عالم المعرفة، الكويت، 2002.
7: ابن سنان الخفاجي، سر الفصاحة، تح/ عبد المتعال الصعيدي، القاهرة 1953.
8: عز الدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية، دار الفكر العربي، ط3.
9: علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر المعاصر العربي، دار الفكر العربي، القاهرة، 1418هـ، 1997م.
10: أبو الفرج قدامة بن جعفر، نقد النثر، تح، طه حسين وعبد الحميد العبادي، المكتبة العلمية، بيروت، 1980م.

11: أبو القاسم، سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار البصائر، طبعة خاصة، ج10، 2007.
12: أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ابن قيم الجوزية، كتاب الصـــلاة، دار حازم، بيروت، لبنان، ط4، 1440هـ- 2019م.
13: محمد غنيمي هلال، الأدب المقارن، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط9، أكتوبر، 2008م.
14: محمد غنيمي هلال، النقد الأدبي الحديث، دار نهضة مصر، أكتوبر 1998.
15: محمد فتوح أحمد، الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، مصر، ط3، 1984.
16: محمد فهمي عبد اللطيف، أبي زيد الهلالي، دار المعارف، بمصر.
17: محمود درويش، أثر الفراشة، دار الرياحين، القاهرة، مصر، ط3، 2006.
18: ميخائيل نعيمة، مرداد، دار الملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1948.
19: ناصر لوحيشي، الرمز في الشعر العربي، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 2011م.
20: نبذة عن الشاعر محمد الصالح باوية، إعداد صلاح الدين باوية مستلة من كتابه: محمد الصالح باوية الشاعر الطبيب والمجاهد الشهيد، دار الماهر، العلمة، 2019م.
21: نورا مرعي، تنوع الدلالات الرمزية في الشعر العربي الحديث، دار الفرابين بيروت، لبنان، ط1، 2016م.

ب: الكتب المترجمة إلى العربية:

1: أرثر رامبوار شـــعر الشـــاعر، تر/ آســـية الســـخيري، دار هاد بركولينز، باريس، فرنســـا، ط1،1873.
2: إيميل دوركهايم، قواعد المنهج السوسيولوجي، تر/ عبد الرحمان بدوي، دار المدى، دمشق، سوريا، ط1، 1997.
3: بول فيرلين، شعراؤه، تر/ أمين الريباني ابراهيم عبد القادر المارني، دار فليب للنشر، باريس، فرنسا، 1884.
4: تزفيتان تودورف، نظريات في الرمز، تر/ محمد الزكراوي، المنطقة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2012.

5: ستيفان مالارميه، الـــشعر الرمزي، تر/ أسامة أسعد وعبد القادر الجنابي ومحمد بنيس، دار غاليمار للنشر، باريس، فرنسا، ط1، 1876.

6: شارل بودلير، أزهار الشر، تر/ أحمد العطار، دار الجمل، بيروت، لبنان، ط2، 2003.

7: شارل بودلير، أزهار الشر، تر/ علي أحمد سعيد أدونيس، دار غليمار، باريس، فرنسا، ط1، 1875.

8: فنسنت فاخ جوخ، رسائل إلى أخيه، تر/ عبده عبود وصالح الأشمر، دار بيترز للنشر، أمستردام، ط2، 2012.

ج: الأطاريح الجامعية:

– سليم كرام، الطبيعة في الشعر الجزائري الحديث، مذكرة ماجستير، إشراف محمد لخضر فورار، جامعة بسكرة 2007–2008.

د: المعاجم والقواميس:

1: أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، دار الجيل، بيروت.

2: أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان، بيروت ط1، 2011.

3: جبور عبد النور، المعجم الأدبي، دار الملايين، بيروت لبنان، مصر.

4: سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، سوشبريس الدار البيضاء، لبنان، المغرب، ط1، 1405هـ، 1985م.

5: مجدي وهبة وكامل مهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان ط2، 1984.

6: مجمع اللغة العربية، معجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 1425هـ –2004م.

7: ابن منظور، لسان العرب، مادة (رمز)، دار المعارف، القاهرة، ط1. دت.

8: أبو نصـــر إســـماعيل الجوهري، الصـــحاح تاج اللغة العربية، تح، محمد محمد تامر، دار الحديث، القاهرة 2009.

هـ: المجلات والدوريات:

1: إلياس قاضـي، شـعرية الماء في ديوان محمد الصـالح باوية ديوان أغنيات نضـالية، جامعة أحمد بن بلة، وهران، مجلة اللغة الوظيفية، المجلد8، العدد 1، 2021، الجزائر.

2: سليمان بختى، نصف قرن على رحيل يوسف غصوب (1893- 1972) الشاعر الجسر بين الرومنسية والرمزية، مجلة ألف لام، 20 يونيو 2022، اطلع عليه، 5-03-2025 على 10:00.

3: قاضي إلياس وزرادي نور الدين، "دلالة الرمز الطبيعي في ديوان محمد الصالح باوية أغنيات نضالية " أنموذجا"، مجلة الموروث الجامعة أحمد بن بلة، وهران، المجلد 10، العدد 1، 2020، الجزائر.

4: قحطان بيرقدار، خصائص الرمزية دراسات ومقالات نقدية ضمن شبكة الألوكة، مجلة أسامة، سوريا، تاريخ المقال: 24 مارس 2011م.

5: ليلى طبيب، نسمة بلمسعود، "جماليات التناص في ديوان أغنيات نضالية للشاعر محمد الصالح باوية"، مجلة مخبر البحث في الدراسات الأدبية واللغوية والتعليمية والترجمة، جامعة جيجل، المجلد 3، العدد 1، ديسمبر 2024، الجزائر.

و: المقابلات:

-مقابلة مع الشاعر صلاح الدين باوية، يوم 10 أفريل 2025- 20:48.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
مقدمة	أ-ب
-الفصل الأول: مفاهيم نظرية للرمز والرمزية	
تمهيد	**4**
أولا: ماهية الرمز	**4**
1.مفهوم الرمز في اللغة والإصطلاح	**4**
2.أنواع الرمز	**8**
3.خصائص الرمز	**11**
ثانيا: ماهية الرمزية	**13**
1.مفهوم الرمزية	**13**
2.نشأة الرمزية	**14**
3.رواد الرمزية	**15**
-الفصل الثاني: تجليات الرمز في ديوان أغنيات نضالية	
تمهيد	**22**
دلالات الرمز الفني في الديوان	**22**
1.الرموز الطبيعية	**22**
2.الرمز الديني	**35**
3.الرموز التاريخية	**38**
4.الرموز الأسطورية	**48**
5.رمزية الألوان	**52**
6. رمزية المرأة	**57**
الخاتمة	**62**
ملحق	**65**
-قائمة المصادر والمراجع	**68**
-فهرس الموضوعات	**73**

ملخص:

يتناول هذا البحث دراسة" الرمز و الدلالة في ديوان اغنيات نضالية لمحمد الصالح باوية ", باعتبار الرمز وسيلة فنية و شعرية ناجعة، استخدمه الشعراء ليعبروا عما يختلج في نفوسهم وعن قضايا أمتهم، والشاعر في هذا الديوان جمع بين فنية الشعر والتزامه الوطني.

وقد جاء هذا البحث في مقدمة وفصلين وخاتمة ; تناولت في الفصل الأول: مفاهيم نظرية حول مفهوم الرمز ، وأنواعه، وخصائصه، كما تطرقت إلى مفهوم الرمزية كمذهب مستقل عن المدارس الأخرى الرمزية إلى جانب نشأتها وروادها.

بينما ركزت في الفصل الثاني على الجانب التطبيقي الذي تتبعت فيه حضور الرمز ودلالته في الديوان، مع الاشارة إلى كل أنواع الرموز التي استخدمها الشاعر (الرمز الطبيعي، الديني، التاريخي، الأسطوري،...).

وختمت البحث بخاتمة تضمنت أبرز النتائج التي توصلت إليها بعد البحث والتقصي.

الكلمات المفتاحية:

الرمز ، الدلالة، الديوان، محمد الصالح باوية.

Summary :

This research examines the "Symbol and Significance in the Poetry Collection 'Songs of Struggle' by Mohamed El-Saleh Bawia." In his collection, the symbol is considered an effective artistic and poetic tool that the poet used to express the Algerian Revolution and its values, and to convey a motivational message to the Algerian people in a style far from directness, combining the artistry of poetry with his national commitment.

This research consists of an introduction, two chapters, and a conclusion. The first chapter deals with the theoretical aspect, including theoretical concepts about the definition of the symbol, its types, and its characteristics. It also touches upon the concept of Symbolism as an independent literary movement alongside other Symbolist schools, as well as its emergence and pioneers.

The second chapter focuses on the applied aspect, in which the presence and significance of the symbol in the collection are traced, with reference to all types of existing symbols (natural, religious, historical, mythological, etc.).

The research concludes with a summary that includes the most prominent findings reached by some researchers.

Keywords:

Symbol, Significance, Poetry Collection, Mohamed El-Saleh Bawia.